«سوناتا الشبح»

أوجست ستِرِنْدبِرج

مقدمة

كان أوجست سترندبرج ثمرة اتحاد طويل، بين أبيه وأمه، لم تُضفِ عليه طقوس الزواج مشروعية إلاّ بعد أن حملت به أمه، وقد جاء زواج والديه بعد أن حملت به أمه مثارًا دائمًا لإحساس بالإثم عند الطفل مقترنًا بشعوره بوضاعة الطبقة التي كانت تنتمي إليها أمه. وما من عملٍ فني قام به سترندبرج بعد ذلك إلاّ تبدّت فيه آثارٌ تجِلُّ أحيانًا وتهونُ أحيانًا لهذا الإحساس المزدوج بالإثم ووضاعة الأصل الطبقيّ وبالحب المشوب لأمه وتقديسها في الوقت نفسه، وعندما ماتت أمه كتب سترندبرج عن نفسه بضمير الغائب : «ما من شيء كان ليعزّيه أو يهدهد وجيعته. كان يصرخ كالغريق ويستحضر صورة أمه ويرى نذر التعس والشقاء والخراب».

وفي سترندبرج الطفل نرى كلّ مقومات سترندبرج الرجل : عبادة الأم والإغراق في المتعة بالنساء «كل تلك الأجساد الصريحة الهائلة للشقراوات والسمراوات» كما يقول ، وذلك القلق الروحيّ العميق الذي لايستكنّ إلى راحة، وتلك البهجة التي يحسها في الالتذاذ بالألم، والكبرياء الحادّة الحسّاسة، والطواعية للاستسلام لكل ضغطٍ خارجيّ، والضعف والاستعداد للتسليم والنزول أمام العناد والتعصّب.

أما عن الإرادة فقد كانت له إرادةٌ تتبدّى فى نوباتٍ متقطعة وفى تعصّبٍ حاد. ولكنّه فى الحقيقة لم يكن يريد شيئًا. كانَ قَدَريًا حينًا، موقنًا بحظّه النكد، وكان متوهجًا بالحميّة والحيوية حينًا آخر. كانت آماله عِراضًا فسيحةً فى كل شىء، كان صلبًا حينًا، ورقيقًا يكاد يشفى على أن يكون «عواطفيًا» حينًا آخر. وكان يستطيع أن يدخل زقاقًا ويخلع سترته حتى يهبها شحاذًا، وأن يبكى لمرأى ظُلمٍ مما يقع على الناس. طَمُوحًا وواهنَ الإرادة . قاسى القلب عندما تقتضى الظروفُ مستسلمًا عن طيب خاطر عندما لا تدعو الحاجة إلى شىء من ذلك. وكانت ثقته الكبيرة بنفسه تختلط بحبوطٍ عظيم وتخاذلٍ عميق. كان ثاقب الفكر وغير منطقىّ صلبًا جامداً ورقيقًا حنونًا فى وقتٍ معًا.

ومن الحق أن هذه الخصال قد تكون مشتركة فى الناس جميعًا لكنها عند سترندبرج كانت أعنف وأبعد إيغالاً وأعصى على التوفيق والتنسيق وأدنى إلى الانقلاب من نقيض إلى نقيض. ومن ذلك أنه اشتغل مدرسًا وصحفيًا وأمين مكتبة ومساعد جرّاح وممثلاً وعامل تلغراف، وأنه ظل طوال الجانب الأكبر من حياته متنقلاً بين باريس وسويسرا وإيطاليا وألمانيا وكوبنهاجن، وأنه تزوج ثلاث مرات وكتب خمسة وخمسين كتابًا واشتغل بالمسرح والرواية والاعترافات الذاتية والفلسفة والدين والدَرْوَشة والعلوم الكيمائية القديمة .

أى حساسية غريبة خارقة تلك التى تمزّق نفس الفنان وتحطّم السياق السوىّ لحياته، وأى صلة بين الاختلال النفسى وانبعاث الطاقة الخلاقة! مازالت محاولات علم النفس التحليلى قاصرة عن أن تحيط

بتفسير وافٍ لذلك كله ومازال الحافز على الإبداع مستعصياً على النظر العلميّ كأنه سرّ الخلق الأوليّ نفسه، ومازال في ذلك على الأقل نفحة من الحرّية ينفرد بها الإنسان - والفنان - فتستعصي على التقنين والتأطير، ساحةٌ من روحه نفسها مازالت ملكًا له وحده يمارس فيها حريته ويتمرّد بها على كل آليّةٍ خارجيةٍ وكل حكم مقحَم.

يقول كارل ياسبرز، الفيلسوف الألماني الشهير، عن سترندبرج:

«إن البحث عن أبنْيته الذاتية قد اتخذ قالبين نمطييّنْ من بين غيرهما من القوالب، في خلال هذا التطور الطويل، هما الحاجة إلى السُكْر والنشوة، والحاجة الغريزية لتمثيل دور بعينه. أما الحاجة الأولى فقد تحققت في الشَراب، لكنه سرعان ما تغلب عليها بخوفه من الكحول فقد كان للكحول عليه آثار عنيفة بوجه خاص. ولم يعد للكحول على سترندبرج أي أثر في المدى الطويل. أما عن غريزة التقليد والتمثيل فإنه يعبّر عن نفسه بنفسه في هذا الصدد.

هذا النزوع عند ستـرندبرج حلّ محله نزوعٌ الكاتب. وقد رأى سترندبرج فيما بعد أنه كان قد خلط بين الممثل والشاعر. كان سترندبرج يحس القيمة الإيجابية للبحث والتغلب على العوائق والنزوع إلى الآمال العوالي. وكانت اهتماماته العلميّة موسوعيةً تحيط بكل شيء وكانت له طاقةٌ للحماس عامّةٌ كونيّة، لكنه كان يُخضِع كل شيء لنقده وشكّه. أما المثابرة والولاء وإفراد الجهد فهي أشياء نادرة في العالم. ولم يكن سترندبرج يعاني من هذا القصور. كانت إحدى مشاغله تُنسيه سابقتها وكانت الإقامة في بلدٍ ما تمحو ما علق بذهنـه عن إقامتـه ببلدٍ آخر.

وثمّـة نزوة تحل محلّ نزوة. لم يكن لديه شيء باقٍ إلا بضع أفكار ثابتة، وبخاصةٍ قرابة نهاية حياته، هي التي ظلت تغمر حياته، وتشغل تفكيره وأهدافه : مشاكل الزواج والمشاكل الجنسية بعامة، مشاكل القوة والسلطان والظلم والتحكّم والعذابات المتبادلة والمؤامرات. هنا كانت خبراته الخاصة هي مادته الخام. كان لاعتداده بذاته وللرغبة الجنسية دور حاسم منذ البداية وهي تعود للظهور عنده في شكل هَوَس الاضطهاد وهُذاء الغيرة».

لعبت الغيرة دورها المدمّر على طول حياة سترندبرج وعرضها ومنذ بداية شبابه ظهرت هَذَيانات الغيرة في هذه النفس المنقسمة على ذاتها فأورثتها جراحًا غائرة كالأخاديد التي يُخلّفها زلزال.

ففي عام ١٨٧٣ عندما كان سترندبرج في الرابعة والعشرين أحبّ خادمًا وعاش معها عيشة الأزواج طيلة أيامٍ ثلاثٍ صبا إليها قلبُه أول الأمر لأنها عُنيت بأمره عندما كان مريضًا وأبدت نحوه دماثةً ولطفَ جانب.

تزوج سترندبرج ثلاث مرات ودام زواجه الأول بسيرى فون إيسن خمسة عشر عامًا من ١٨٧٧ إلى ١٨٩٢ ولم يعمر زواجه الثاني إلا سنتين من ١٨٩٣ إلى ١٨٩٥ أما زواجه الثالث بهارييت بوسين فقد استمر من ١٩٠١ إلى ١٩٠٤ وفي ١٩١٢ توفي سترندبرج بسرطان في المعدة .

لعب هُذاء الغيرة دوراً حاسمًا في فسخ زواجه الأول وهو الخبرة الطويلة العميقة التي خلّفت أكبر الأثر في حياته وفنّه على السواء. كانت زوجته الأولى ممثلة ومطلقة.

ومازالت الشكوك تساوره فى عفة امرأته وشرعيّة أولاده منها وهو يُفصّل ذلك كلّه تفصيلاً فى روايته «مرافعات مجنون» ويستنبط من هذه الخبرة المروعة ذلك المشهد الذى لا يُنْسَى فى مسرحية «الأب»، ونحن نعرف أن الصراع فى هذه المسرحية يدور محتدمًا بين الأب وزوجته حول رغبة كل منهما فى الاستئثار بتربية فتاتهما والإشراف على تنشئتها بل حول مِلْكية هذه البنت بمعنى من المعانى، ويتفرع عن ذلك صراع ثانوى بين الجنسين: الرجل والمرأة، ونجد أن الأب وزوجتُه كليهما لن يتورع عن الإفادة من أى الوسائل حتى يظفر فى هذا الصراع ويظهر على خصمه.

إن شبهة الجنون ظلت تحوم حول سترندبرج منذ بواكير شبابه حتى نهاية حياته، يحسها ويدركها ويحاول أن يتعقلها وأن يجد لها تفسيراً منطقيًا. لكن هُذاء الغيرة يلح عليه ليل نهار، وما يزال يقضّ مضجعه هوس الشكّ يدمر سلامَه ويحطم حياته ويصور له أعداءً من نسائه والمتآمرين معهنّ. كبرياؤه وحساسيته وتخلخُل شخصيته تربة خصيبة تنبت فيها هذه الزروع السامة وتزدهر وتنبثق عالية رهيبة كأنها بعض أحراش الغابات وتتملكه فكرة أن زوجته تريد أن تخلص منه وتشتهى موته، منذ عام ١٨٨٢ كان يوقن أنها أرادت أن تسمّه.

تتلاحق الأدلة المروعة على أنه ضحية اضطهاد فظيع، الهمسات والنظرات والأصوات العالية المفزعة والآلات الجهنمية التى تستهدف القضاء عليه . يفر من بلد إلى بلد حتى نهاية عام ١٨٩٨ حين يستقر فى مدينة لوند بالسويد ويحتفل هناك بعيد ميلاده الخمسين ثم ينتقل إلى ستوكهلم حتى نهاية حياته.

* * *

أولى خصائص مسرح سترندبرج عبقريتُه الخارقة فى الاستبصار العميق بأعماق النفس وجرأته التى لا تحدها حدود على الغوص فى أغوارها، بعينٍ مفتوحة لا يفلت منها شىء، وصراحته البالغة مداها فى تسجيل كل خلجاتها دون نظر إلى القيم الخلقية الموضوعة ووقوفه هناك يجابه عمالقة ذلك العالم السفلىّ المخوف فى النفْس وسط أحراش غاباتها المسمومة. ذلك كله يجعل من سترندبرج أعلى من عصره، ويضعه وسط القرن العشرين وما بعده، ويجعل منه شاهداً ممزّقًا معذّبًا، لكنه عنيف الصدق عارى الأحشاء، شاهداً على عالم الإنسان بغض النظر عن بيئته وعن زمنه.

ومن الممكن أن نعدّ سترندبرج أول المحْدَثين؛ فقد كان من أوائل كتّاب المسرح الذين خرجوا من شرنقة الشكل الواقعىّ التقليدىّ وألقوا بأنفسهم فى غمار مسرحيات التجارب النفسية التى لا ترى الإنسان مقيداً بغرفةٍ ذات ثلاثة جدران، وبحديثٍ اصطلاحىَ يُقلّد حديث الصالونات وحبكات تقليدية عن مشاكل المال والزواج والخيانة فى صورها السطحية الاجتماعية فحسب. قبل أن تذيع مكتشفات علم التحليل النفسىّ كان سترندبرج يقول :

«كل شىء يمكن أن يحدث، كل شىء ممكن ومحتمل. لا يوجد ثمّ زمان ولا مكان. وعلى أساسٍ واهٍ من الحقيقة يمكن للخيال أن ينسج أنماطًا جديدة ويحوّلها مزاجًا من الذكريات، والخبرات، والخيالات التى لا تصفّدها أغلال، والسخافات، وارتجالاتٍ وحى الساعة».

الشخصيات تنشقّ وتزدوج وتتضاعف، تتبخر وتتكاثف، تتشتت وتتركز. لكن وعياً واحداً يسيطر عليها جميعًا. هو وعيُ الحالم، فليس ثمّ أسبابٌ عنده ولا نتائج متناقضة، ولا تثريب عليه ولا شريعة عنده. إنه لايدين ولا يبرّئ بل يحكي.

تلك كانت خطة سترندبرج في مسرحياته الأخيرة : «الطريق إلى دمشق» و «مسرحية حُلْم» «وسوناتا الشبح» على أن هذه الخطة كانت قَسَماتها قد ابتدأت تتّضح منذ مسرحياته التى مازالت تدور فى فلك المصطلحات الواقعية لعصره وإن كانت على ذلك أعمالاً قاتمة يرين عليها تشاؤمٌ وعذاب عميق.

من غير المجدى فى هذا المجال أن نعرّف كل أعمال سترندبرج المسرحية فإنها تربو على الستّين مسرحية بالإضافة إلى أكثر من ثلاثين عملاً فى الرواية والاعترافات الذاتية والسياسية والتاريخ. والغريب أن هذا العملاق لا يلْقَى ما هو أهل له من التقدير لا فى البلاد العربية فحسب بل فى الدوائر العريضة من أوربا وأمريكا أيضا. ومع ذلك فإن إبسن كان يراه أعظم منه وكان يخشى عينه الناقدة، ويقول أوجين أونيل عنه : «كان سترندبرج رائد الاتجاه الحديث كله فى مسرحنا الراهن. ومازال أحدث المُحْدَثين وأعظم مَنْ فى المسرح تفسيراً لخصائص الصراعات الروحية المميّزة التى تقوم الدراما بها فى حياتنا اليوم».

وإنما حَسْبُنا أن نلم بجانب أو جوانب قليلة من هذا الأفق الفسيح الحافل وأن نستبصر ناحيةً أو بضع نَواحٍ من صنعة هذا الفنان الضخم، ومن خبرته الحميمة العميقة التى هى جزء لا ينفصم من تراث خبراتنا

جميعًا وقد سقط عليها ضوء مركّز قاطع يكشفها لنا بكل روعها وروعتها. ومن المألوف أن يوصف سترندبرج بأنه ديِّنٌ عميق الحب للدين، ولكن النظر الأعمق لأعماله يكشف لنا عن نزعته المتشكّكة أبدًا. وفى ذلك ما يتّسق مع طبيعة نفسه وخصائص تكوينه. على أن ثمّة وضاءةً دينية تشيع فى بعض أعماله وضوءًا صوفيًا يفشو فيها. ثمّ وعىٌ دائمٌ على أى حال بوجود قُوَى عليا شريرة وخيِّرة تحكم أقدار البشر، وهو وعىٌ يقترب وإن لم يندمج تمامًا بالحسّ الدينىّ.

* * *

إذا كان سترندبرج قد حرص على الشكل الدرامى التقليدى فى «الأب» و«عيد القيامة» فإن له مع ذلك نظرية مهمة بل هى بالطبع عند فنان خالق كبير أكثر من مجرّد نظرية مهمة؛ إذ إنها فى الواقع خبرة فنية كبيرة. ذلك أن سترندبرج ينعَى على كتّاب المسرح ما يُعدّونه سلفًا ومقدّمًا من تأثيرات يقصد بها إلى هزّ المتفرج هزًا، وما يهيئون له من فقرات وجُمَل وعبارات وبخاصة قبل انسدال الستار يستهدفون بها استثارة التصفيق ودغدغة الحواس، وما يرسمونه من أدوار باهرة يرمون بها إلى إفساح الميدان أمام الممثل «للتمثيل» ثم تلك الخطب والاستعراضات وسائر الحيل المسرحية التى لم يستنكف سترندبرج نفسه من أن يعالجها سواءً فى مسرحياته الأولى أو أعماله الناضجة الصارمة الأخيرة، ثم هو يخلُص من ذلك إلى أن الشكل الدرامىّ ينبغى أن يُترك حرًا مرنًا حتى يُتاح للموضوع أن يتخذ أنسب الأوانى وأوفقها لطبيعته . وليس فى ذلك شيءٌ جديد، لكن الأشياء البسيطة هى دائمًا أعمق الأشياء. ولاشك أن سترندبرج حقّق نظريته تلك على أوفَى وجه،

ومازال بمسرحه يعالج فيه مختلف الأشكال المرنة حتى استطاع أن يكتب تلك المسرحيات المتخذة قالبًا عضويًا حيًا معبّرًا تتجسد فيه خبراته المتدفقة المضطربة الجياشة. وأصدق النماذج لذلك نجدها فى مسرحيتين من عهده الأخير. «سوناتا الشبح» و «مسرحية حلْم».

«سوناتا الشبح» مسرحية من مسرحيات التخيُّل وأوهام أغوار النفس الباطنة، حيث تموج أشباحٌ ومومياءاتٌ وأطيافٌ وأصواتٌ ببغاوات وساعات، حيث كل شىء يُنقِّب عنه؛ ويستخرَج من حفرته وكلّ شىء يعود من جديد.

* * *

ما القيمة الفنية لأعمال سترندبرج؟ بوسعنا الآن بعد أن عرضنا لجوانب من فنّه أن نقول باطمئنان إنه فى الواقع من أكبر المسرحيّين قامة وأضخمهم أثراً.. إن له عيوبه التى لاشكّ فيها: افتقارُه إلى الصنعة الدقيقة البارعة، ونوعٌ من الهلهلة فى بنائه، وتعثُّرٌ أحيانًا بعوائق الحبكات والعقدة، لكنه فوق ذلك وبعد ذلك ليس مبتذلاً قط، ولا رثًا، مشاهدُه دائمًا خارقة يسرى فيها نَفَسٌ شيطانىٌّ من الأنفاس التى تتصعّد فى أعماق البشر جميعًا، ضرباته قوية حاسمة بل مخيفة القوة والقَطْع، شخصياتُه ذات أبعاد فوق الأبعاد الإنسانية ورؤاه حادة معذبة ساطعة التوهج، وعالمه يزلزل أركان كل دَعة وكل استنامة. هذا إلى قصد وتركيز فى أدواته الفنية يكاد يُشفِى على الإعجاز، فليس فيه تطويلٌ ولا تفصيل ولا تلك الحواشى المنمقة، الباهتة بعد حين، بل ذهابٌ مباشرٌ عنيف إلى الغَرَض.

الشخصيات

١ – هامل ، الرجل العجوز	مدير شركة
٢ – آركنهولتر ، الطالب	
٣ – بائعة اللبن	شبح
٤ – زوجة الحانوتى	
٥ – السيدة المرتدية بالسواد	بنت زوجة الحانوتى والرجل الميّت، يشار إليها أحيانا باسم «السيدة السوداء»
٦ – الكولونيل	
٧ – المومياء	زوجة الكولونيل
٨ – الفتاة	بنت الكولونيل، هى فى الواقع بنت الرجل العجوز .
٩ – الأرستقراطى البارون سكانسكورج	خطيب السيدة المرتدية بالسواد
١٠– چوها نسون	خادم الرجل العجوز
١١– بينجتسون	خادم الكولونيل
١٢– الخطيبة	امرأة عجوز قد شاب الشعر منها، كانت ذات مرّة خطيبة الرجل العجوز
١٣– الطباخة	
١٤– خادم	
١٥– شحاذون	

المنظر الأول

خارج البيت، ركن من واجهة بيت حديث، يبدو منه الطابق الأرضى إلى فوق والشارع من الأمام. ينتهى الطابق الأرضى، من يمينه، إلى الغرفة المستديرة وفى الطابق الأول، فوق الغرفة المستديرة شرفة تقوم عليها صارية علم. نوافذ الغرفة المستديرة تواجه الشارع أمام البيت، وتطل، فى الركن، على ما يوحى بأنه شارع جانبى يذهب إلى الخلف.

فى بداية المشهد نرى خَصَاص النوافذ فى الغرفة المستديرة مغلقاً. وعندما يرفع الخصاص فيما بعد، يلوح تمثال من الرخام الأبيض لامرأة فى شباب العمر، تحيط به أشجار نخيل ويستضيىء بنور باهر من أشعة الشمس.

إلى اليسار من الغرفة المستديرة تقع غرفة الزنبق وقد امتلأت نوافذها بأصص أزهار الزنبق، زرقاء وبيضاء ووردية. وإلى أبعد من ذلك إلى اليسار يقع بابٌ أمامى مزدوج ضخم، وإلى كل من جانبيه أحواض من نبات الغار. الباب المزدوج مفتوح على مصراعيه، يبدو منه درج السلالم من الرخام الأبيض وحاجز السلالم يرتفع إلى جانبيها، من خشب الموجَنَه والنحاس. وإلى اليسار من الباب الأمامى نافذة أخرى فى الطابق الأرضى، وإلى الداخل من النافذة مرآة تعكس مايدور فى الشارع، على حاجز الشرفة، فى الركن الذى يقع فوق الغرفة المستديرة، لحاف من الحرير الأزرق ومخدتان بيضاوان. وقد علقت ملاءات بيض على نوافذ الناحية اليسرى، علامةً على الحداد.

فى المقدمة، أمام البيت، مقعد أخضر مستطيل، وإلى اليمين صنبور لماء الشرب فى الشارع وإلى اليسار عمود ألصقت عليه الإعلانات.

نحن فى صباح يوم أحد مشرق نيّر، وإذ ترتفع الستار تقرع أجراس كنائس كثيرة، بعضها عن كثب، وبعضها من بعيد.

وعلى السلالم تقف السيدة المرتدية بالسوداء، بلا حراك.

زوجة الحانوتى تكنس عتبة الباب، ثم تلمّع النحاس على الباب وتسقى الغار.

وبجانب عمود الإعلانات يجلس الرجل العجوز فى كرسى ذى عجلات، يقرأ صحيفة. أشيب الشعر واللحية، على عينيه نظارات.

تدور بائعةُ اللبن حول الركن من اليمين، تحمل زجاجات اللبن فى سلةٍ من السلك . ترتدى ثوبًا صيفيًا، وحذاء بنيا، وجوارب سوداء، وقلنسوة بيضاء. تخلع قلنسوتها وتعلقها على الصنبور وتمسح العرق من على جبهتها وتغسل يديها وتسوى شعرها إذ تنظر فى الماء كما تنظر فى مرآة..

يُسمع جرس باخرة، وتقطع الصمت بين حين وآخر نغمات أرغن عميقة من كنيسة قريبة.

وعندما يسود الصمت، بعد لحظات، وتفرغ بائعة اللبن من زينتها، يدخل الطالب من اليسار، كان قد سهر الليل أرقا، ولم يحلق ذقنه بعد. يمضى إلى الصنبور مباشرة. وتمضى لحظة صمت قبل أن يتكلم.

الطـالـب : تسمـحين لى بالقدح؟ (بائعـة اللبن تقبض على القـدح وتضمه إليها) ألم تفرغي بعد؟
(تنظر إليه بائعة اللبن مروّعة)

الرجل العجوز : (لنفسه) إلى مَن يتحدث؟ لست أرى أحداً. أمجنون هو؟
(يرقبهما فى دهشة عظيمة)

الطـالـب : (لبائعـة اللبن) فيم تحـدقين؟ هل أبدو فظيع الشكل إلى هذا الحد؟ لم أنم فى الحـقيقـة وأنتِ بالطبع تظنين أننى قضيت ليلة حمراء.. (تبقى بائعة اللبن بلاحراك) تظنين أننى كنت أسكر، هه؟ هل تـفوح رائحـة الخمـر منى؟ (بائعة اللبن تظل كمـا هى دون تغيير) ولـم أحلق ذقنى، نعم أعرف هذا. أعطنى ماء أشرب يافتاة، لقد استحققته عن جدارة (صمت) طيب أظن أنه يجب على أن أخبرك بالحكاية. أمـضـيت الليل بطوله أضـمّد الجـراح وأعنَى بالجرحى. فقد كنت هناك عندما انهار ذلك البيت الليلة المـاضيـة. هأنتِ الآن تعرفين الخـبر (بائعة اللـبن تغسل القدح بالمـاء وتسقيه) شكراً (تقف بائعة اللبن بلاحراك. ويقـول الطالب ببطء) أتُسْـدين لى معـروفًا؟ (صمت) الأمر أن عينىَّ، كما ترين، ملتـهبتان. ولكن يدىّ كانتا تلمسان الجـروح والجثث. فمن الخطر أن أضعـهما على عينىّ. هل تتناولين منديلى، إنه نظيف تمامًا، وتغمسينه

فى الماء البارد وتمسحين به عينىّ؟ هل تفعلين ذلك؟ تؤدين دور السامرىّ الطيّب؟ (تتردد بائعة اللبن، ولكنها تلبى رغبته) أشكرك ياعزيزتى. (يُخرج محفظةً فتأتى بحركة رفض) اغفرى لى غبائى. ولكننى فى الواقع نصف نائم لم أتيقظ بعد تمامًا. . . (تختفى بائعة اللبن).

الرجل العجوز : (للطالب) اسمح لى أن أبدأك بالحديث، ولكنى سمعتك تقول أنك كنت فى مسرح الحادثة الليلة الماضية. كنت أقرأ عنها، للتوّ ، فى الصحيفة.

الطالب : هل نُشر الخبر فى الصحيفة بهذه السرعة؟

الرجل العجوز : كل شىء، وصورتك أيضًا. ولكنهم يأسفون إذ لم يستطيعوا أن يحصلوا على اسم ذلك الطالب الشاب الرائع. . .

الطالب : صحيح؟ (يرمق الصحيفة بسرعة) نعم. هذا أنا - يا الله!

الرجل العجوز : إلى مَنْ كنت تتحدث الآن؟

الطالب : ألم تكن قد رأيت؟ (صمت)

الرجل العجوز : أيكون من سوء الأدب أن أسأل ما اسمك بالفعل؟

الطالب : وما معنى ذلك؟ لا تهمّنى الشهرة. لو أن أحدًا أزجَى إليك الثناء، فهناك دائمًا مَن يعترض. إن فن الإساءة إلى الناس قد تطوّر إلى حد كبير. . . ثم إننى لا أريد جزاءً ولا شكورًا.

الرجل العجوز : لعلك إذن ميسور الحال.

الطـالب : لا، أبدًا. على العكس. أنا فقير جدًا.

الرجل العجوز : تعرف؟ يبـدو لى أننى سمعت صوتك من قـبل. عندما كنت صـغيـرًا كان عندى صـديق ينطق كلمـات معـينة بالضبط كما تنطقها أنت. لـم ألتقِ قط بأحد ينطقها كما تفعل. هو - فـقط - وأنتَ. هل أنت بالصدفـة قريب السيد/ آركنهولتز التاجر؟

الطـالب : كان أبى.

الرجل العجوز : ما أغـرب المقادير. رأيتُك عندمـا كنتَ طفلاً فى ظروف جدّ مؤلمة.

الطـالب : نعم. جئتُ إلى العالم فى قَلْب عملية إفلاس.

الرجل العجوز : بالضبط.

الطـالب : هل تسمح لى أن أسألك ما اسمك؟

الرجل العجوز : أنا السيد/ هاملْ

الطـالب : هل أنت الـ. . . أذكر أنه. . .

الرجل العجوز : هل سمعت اسمى كثيرًا فى العائلة عندكم؟

الطـالب : نعم.

الرجل العجوز : ولعلك سمعته مقرونًا بشىء من النفور؟ (يصمت الطالب) نعم. أستطيع أن أتصوّر، أظن أنهم قالوا لك إننى كنت السبب الذى خرب بيت أبيـك؟ إن كلّ من يقضون على

أنفسهم بالمضاربات الحمقاء، يعتقدون أن من قَضَى عليهم هم أولئك الذين لم يستطيعوا، هم، أن يخدعوهم (صمت) أما الحقيقة فهى أن أباك سرق منى سبعة عشر ألف كراون، هى كل مدخّراتى فى ذلك الوقت.

الطالب : الغريب أن القصة نفسها يمكن أن تُحكى بطريقتين جدّ مختلفتين..

الرجل العجوز : أنت بالتأكيد لاتظن أننى أخبرك بغير الصدق..؟

الطالب : ماذا أُصدّق؟ إن أبى لم يكذب.

الرجل العجوز : هذا عين الحق. الأب لايكذب أبدًا. ولكنى أنا أيضا أب، ومن ثَمَّ..

الطالب : ماذا تقصد أن تقول؟

الرجل العجوز : لقد أنقذت أباك من كارثة، فردّ دينى بكل الحقد المخيف الذى يتأتى عن الالتزام بالامتنان والعرفان بالجميل. وعلَّم أهل بيته أن يغتابونى بالسوء.

الطالب : لعلك حملته على نكران الجميل بأن سمَّمت مساعدتك بإذلالٍ لم يكن له داع.

الرجل العجوز : إن كل مساعدة تجر وراءها الإذلال ياسيدى...

الطالب : ماذا تريد منى؟

الرجل العجوز : لست أطلب المال، ولكنك إذا أديت لى خدماتٍ صغيرة قليلة، فسوف أعتبر ذلك أحسن الوفاء بدينى. أنت ترى

أنني مُقعـد. والبعض يقولون إن ذلك من ذنبي. ويلقي البـعض باللوم على والدي. ولكني أوثر أن ألوم الحـياة نفسهـا، ووَهْداتها. فلو أنك أفلتْ من مصـيدةٍ لوقعت على رأسك في مـصيدةٍ أخـرى. وعلى أي حالٍ فـإنني عاجـز عن أن أصعد السـلالم أو أدق أجراس البِيـبان. ولذلك أسألك أن تساعدني.

الطـالب : ماذا بوسعي أن أفعل؟

الرجل العجوز : ابدأْ بأن تدفـع الكرسي حـتـى أسـتطيع أن اقـرأ هذه الإعلانات عـن المسرحيـات. أريد أن أعرف مـاذا هناك الليلة...

الطـالب : (يدفع الكرسي) أليس لك مرافق؟

الرجل العجوز : نعم، ولكنه ذهب في مـهمة. سـوف يعـود سـريعًا. هل أنت طالب طبّ؟

الطـالب : لا، أنا أدرس اللغـات، ولكني لا أعـرف على الإطلاق بماذا سوف أشتغل.

الرجل العجوز : آها.. هل تجيد الرياضيات؟

الطـالب : نعم، إلى حد كبير.

الرجل العجوز : طيب. لعلك تحب أن تشتغل؟

الطـالب : نعم، ولمَ لا؟

الرجل العجوز : عظيم (يفحص إعلانات المسرحيات) يلعبون رواية «الفالكيرى» فى الحفلة الصباحية ومعنى ذلك أن الكولونيل سيكون هناك مع ابنته، ولما كان يجلس دائمًا فى نهاية الصف السادس فسوف أُجلسك إلى جواره. اذهبْ إلى كشك التليفون من فضلك واحجز تذكرة للكرسى رقم ٨٢ فى الصف السادس. . .

الطـالب : هل أذهب إلى الأوبرا فى وسط النهار؟

الرجل العجوز : نعم. أطعْ ما أقول لك وسوف تجرى الأمور معك على خير مايرام. أريد أن أراك سعيدًا، غنيًا، وموضع التكريم. إن بدايتك البارحة بوصفك المنقذ الشجاع سوف تحمل إليك الشهرة من الغد وعندئذ سوف يكون لاسمك قيمته. .

الطـالب : (متجهًا إلى كشك التليفون) يالها من مغامرة غريبة.

الرجل العجوز : هل أنت مقامِر؟

الطـالب : نعم لسوء الحظ.

الرجل العجوز : سوف نجعلها «لحسن الحظ» هيا الآن إلى التليفون. **(يذهب الطالب. يقرأ الرجل العجوز صحيفته. تخرج السيدة المرتدية بالسواد للرصيف وتتحدث إلى زوجة الحانوتى. يصغى الرجل العجوز إلى الحديث. ولكن النَظَّارة لا يسمعون شيئًا . يعود الطالب)** هل فرغت؟

الطـالب : نعم.

الرجل العجوز : هل ترى ذلك البيت. . .

الطـالب : نعم. كنت أطيل النظر إليـه. مررت به بالأمس عـندما كانت الشمس تلمع على زجـاج نوافذه، ورحت أتصور كل الجمال والأناقة التى لابد أن تكون فيه من الداخل. وقلت لصـاحـبى «تصـور كـل الحـيـاة هناك فى الدور العلوى، مع زوجة صـغيرة جـميلة، وطفلين صغـيرين لطيفين ودخل سنوى من عشرين ألف كراون».

الرجل العجوز : فهـذا إذن ماقلت. هذا مـاقلـت. طيب. . طيـب. . أنا أيضا مغرم جداً بهذا البيت.

الطـالب : هل تضارب بالبيوت؟

الرجل العجوز : مم. . . نعم. . ولكن بغير الطريقة التى تظنها.

الطـالب : هل تعرف الناس الذين يعيشون فيه. . ؟

الرجل العجوز : نعم أعرفـهم واحداً واحـداً. إن المرء فى عمـرى يعرف الناس جـميعًـا، وآباءهم وأجدادهم أيضـا. والمرء يمتّ إليهم بـصلة القربى دائمًـا على نحوٍ أو آخـر. إننى قد بلغت الثمـانين من عمرى، ولكن أحـداً لايعرفنى، فى الحقيقة. وأنا يهمنى مصير الإنسان.

(يرتفع خصـاص نوافذ الغرفة المستديرة ويُرى الكولونيل وهو يرتدى الملابس المدنيـة. ينظر إلى الـترمـومـتر خـارج

إحـدى النوافذ ثم يعـود إلى الغـرفة ويقـف أمام التـمثـال الرخامى).

الرجل العجوز: انظر، هذا هو الكولونيل الذى سـوف تجلس إلى جانـبه اليوم بعد الظهر.

الطـالب: هل هو - الكولونيل؟ لست أفـهم من ذلك كله شيـئًا، لكنه كالخرافات وحكايات الأطفال.

الرجل العجوز: حيـاتى كلها ياسيدى تشـبه كتـابًا من حكايات الأطفال والخـرافات. وعلـى رغم أن الحكايات مخـتلفـة إلا أن خيطًا واحدًا يمـسكها ويجرى خلالهـا، ومازال الموضوع الرئيسى فيها يعاود الظهور باستمرار...

الطـالب: لمن هذا التمثال الرخامى.

الرجل العجوز: هذه بالطبع زوجته..

الطـالب: أكانت شخصًا رائعًا إلى هذا الحد؟

العـجوز: أىْ.. نعم..

الطـالب: قل لى.

العـجوز: ليس لنا أن نـحـاكم الناس يابنى.. لو أننـى قلت إنهـا هجرته، إنه ضـربها، إنها عادت إليـه وتزوجت به مرةً ثانية وإنهـا الآن تجلس بالداخل هناك كالمومـياء، تعـبد تمثالها نفسه، لو قلت ذلك لاعتقدت أن بى لوثة ...

الطـالب : لا أفهم. . .

العـجوز : ما ظننت أنك ستفهم. على أى حال، لدينا النافذة ذات الزنبق. غرفة بِنته. لقد خـرجت فى نزهة لكنها ستعود للبيت وشيكًا. . .

الطـالب : ومَنْ السيدة السوداء التى تتحدث إلى الحانوتى؟

العـجوز : آه، هذه مسـألة معـقدة قليـلاً، ولكنها متـصلة بالرجل الميّت، هناك فوق، حيث ترى الملاءات البيضاء. .

الطـالب : ومن كان ذلك الرجل الميت؟

العـجوز : إنسان مـثلى أو مثلك، ولكن أظهـر شىء عنده إنما كان غـروره بنفسـه. لو أنك كنت مـن أطفال يوم الأحـد، لرأيته الآن يخرج من هذا الباب لينظر إلى علَم القنصلية مرفوعًـا على منتصف الصارى علامة الحداد، فـقد كان قنصلا، وكان ينتـشى بالتيجان والأُسود والقـبعات ذات الريش والأشرطة الملونة.

الطـالب : من أطفال يوم الأحد؟ قيل لى إننى ولدت يوم أحد. .

الرجل العجوز : لا؟ صحيح؟ كـان ينبغى لى أن أعرف. رأيت ذلك منْ لون عـينـيك. فـأنت إذن بوسـعـك أن ترى مـالا يراه الآخرون. هل لاحظتَ ذلك؟

الطـالب : لست أعرف ماذا يرى الآخرون، ولكن أحيانا. . أُوه. . ولكن المرء لا يتكلم عن هذه الأشياء.

بالأمس مثلاً. . . ثَمَّ ما جذبنى إلى ذلك الشارع الصغير المُعتم حيث انهار البيت فيما بعد. ذهبت هناك، ووقفت أمام تلك البنايه التى لـم أرها قط من قبل. ثم لاحظت شرخًـا فى الحائط. . وسـمعت ألـواح الأرضية تقـرقع وتتـقصف. . فـاندفعت والتـقطت طفلاً كـان يمر تحت الجدار... وفى اللحـظة التالية انهـار البيت. لقـد نجوت ولكن ذراعىَّ اللتين ظننتـهما تحمـلان الطفل، لم تكونا تضمّان شيئًا على الإطلاق.

العـجوز : نعم، نعم ذلك مـاظننت بالضـبط. قل لى. لمـاذا كنت تُشوِّر على ذلـك النحو الآن أمام الصنبـور؟ ولمـاذا كنت تتحدث إلى نفسك؟

الطـالب : ألم تر بائعة اللبن التى كنت أتحدث إليها؟

العـجوز : (مروَّعًا) بائعة اللبن. .

الطـالب : نعم بالتأكيد. الفتاة التى أعطتنى القَدح.

العـجوز : صـحيح؟ هذا إذن مـا كان يـجرى. طيب، ليـست لى بصـيرة ثانيـة، ولكن هناك أشيـاء أستطيع أن أفـعلهـا **(تُرى الخطيبة الآن وهى تجلس إلى النافذة التى ثبتت بها المرآة)** انظر إلى هذه المرأة العـجوز فى النافذة؟ أتـراها؟ كانت خطيبتـى ذات مرّة، منذ ستين عامًا. كنت فـى العشرين من عمرى. لا تنزعج. إنها لا تعرفنى الآن. نحن نرى

أحـدنا الآخـر كل يوم، ولا يؤثـــر ذلك عليّ في شيء ولو أننا تعاهدنا مرةً عـلى أن نحب أحدنا الآخر إلى الأبد.. إلى الأبد...

الطـالـب : كم كنتم حَمقَى في تلك الأيام... نحن الآن لا نحدّث البنات بمثل ذلك أبداً..

الرجل العجوز : ســامـحنا يـابني. لم نكن نعـرف خـــيـراً من ذلك. ولكن أتستطيع أن ترى أن تلك العجـوز كانت ذات مرّة صبيةً شابةً جميلة؟

الطـالـب : لايبدو لذلك من أثر. ومع ذلك فـفي مظهرها شيءٌ من الفتنة والسحر. لست أستطيع أن أرى عينيها..

(تخرج زوجـة الحانوتي ومعـها سلة من أغصــان الشربين المقطوعة)(*)

الرجل العجوز : آه، زوجة الحانوتي. هذه السيدة السوداء بنتها من الرجل الميِّت. لذلك عهـد إلى زوجها بعـمل الحانوتي. ولكن للسيـدة السوداء خطيب، هو أرسـتقراطي لـه مستـقبل عظيم. وهو بسبيله إلى الحصول على طلاق- من زوجته الحالية بالطبع- وقد أهدتـه داراً من الحجر لكي تتخلص منه. هذا الخطيب الارسـتـقـراطي هو زوج بنت الرجل

(*) كانت العادة في السويد أن تُنثر أغصان الشربين المقطوعة على الأرض في الجنازات.

العـجوز، وتسـتطيع أن ترى ملاءات فـراشه تُهَـوَّى فى الشرفـه فوق. هذه حكاية معقـده قليلاً، أُسلّم بذلك.

الطـالب : معقدة بشكل مخيف. . .

الرجل العجوز : نعم، معقدة، فعلاً، من الداخل ومن الخارج، ولو أنها تبدو بسيطة جداً.

الطـالب : ولكن مَنْ كان الرجل الميّت إذن؟

العـجوز : سألتنى هذا السؤال الآن وأجـبتك عليه. لو أنك نظرت حـول الركن حـيث يقع باب الخـدم لرأيت كـثـيـراً من الفقـــراء ، كان من عادته أن يسـاعدهم - عندمـا كان ذلك يلائمه.

الطـالب : كان رجلاً عطوفًا إذن.

الرجل العجوز : نعم فى بعض الأحيان.

الطـالب : ليس دائمًا؟

العـجوز : لا. . هذا دأب الناس. والآن ياسـيدى هل تسـمح بأن تدفع مقعـدى قليلاً حتى تغمرنى الشـمس. إننى أشعر ببرد فظيع. عندمـا لا تستطيع أبدًا أن تتحـرك فإن الدم يتخثر. سوف أموت سريعًا، هذا أعرفه، ولكن علىَّ أن أقوم ببضعة أمور قبل ذلك. خذ يدى وتلمّس كم أشعر البرد. .

الطالب : (وهو يأخذ يده) نعم. باردة بشكلٍ لا يتُصور (يتراجع منكمشًا، محاولاً في غير جدوى أن يخلّص يده).

العجوز : لا تتركني. إنني الآن مُجهَد ووحيد، ولكني لم أكن دائمًا على هذه الحال، كما تعرف إن ورائي عمراً طويلاً إلى حدٍ مديد. طويلاً إلى حدٍ مديد. أشقيتُ الناس، وأشقاني الناس. فالواحدة تحذف الأخرى- ولكني قبل أن أموت أريد أن أراك سعيداً. مصيرنا متشابك، من خلال أبيك ومن خلال أشياء أخرى.

الطالب : دع يدي. أنت تمتص كل قوتي. أنت تثلجني وتجمّدني. ماذا تريد مني؟

العجوز : (يدع يده) كن صبوراً وسوف ترى، وتفهم. هاهي ذي السيدة الصغيرة قادمة.

(يرقبان الفتاة وهي تقترب، وإن كان النظّارة لا يستطيعون رؤيتها بعد)

الطالب : بنت الكولونيل؟

العجوز : بنته - نعم، انظرْ إليها. هل رأيت مثل هذه التحفة الرائعة من قبل؟

الطالب : إنها تشبه التمثال الرخامي هناك.

العجوز : تلك أمها - كما تعرف..

الطـالب : هذا صحيح. لم أر قط امرأةً مِثْلهـا ولدتْها امرأة. سعيدٌ ذلك الرجل الذى سـوف يصحبـها إلى هيكل الكنيـسة ومنه إلى بيته...

العـجوز : أنت تستطيع أن ترى ذلك. ليس كل إنسـان بقادرٍ على أن يدرك جمالها. فليكن إذن. هذا مكتوب..

(تدخل الفتـاة، ترتدى حلةَ ركوب انجليزية، وتسـير ببطء، دون أن تلحظ أحدًا، إلى الباب حيث تقف لتقول كلمات قلائل لزوجة الحانوتى. ثم تدخل البيت)

(يغطى الطالب عينيه بيديه)

العـجوز : هل تبكى؟

الطـالب : بإزاء ما لا أمل فيـــه، ما من شىءٍ يمكن أن يكـون، إلا اليأس.

العـجوز : فى وسعى أن أفتح الأبواب والـقلوب، إذا وجدت فقط ذراعًـا تُنفِــذ إرادتى. اخـدمنى وسـتكـون لك القـوة والسلطان...

الطـالب : أهى صفقة؟ هل على أن أبيع روحى؟

العـجوز : لاتبع شيئًـا. أمضيت حياتى كلها آخـذ. وبى الآن لهفة أن أعطى - أعطى. ولكن ما من أحد يقبل. إننى غنىّ، غنىّ جدًا ولكن لا ورثة لى، إلا ولدٌ لاغناء فـيه يذيقنى عـذاب الموت. فلتكن ولدى. فـلتـرِثنى بينمـا مـازلت

أعيش. استمتعْ بالحياة حتى أستطيع أن أراقب ذلك، ولو من بعيد على الأقل.

الطالب : ماذا عليَّ أن أفعل؟

العجوز : أولاً اذهبْ لتشهد مسرحية «الفالكيرى».

الطالب : اتفقنا وماذا أيضًا؟

العجوز : يجب أن تكون هناك الليلة فى الغرفة المستديرة.

الطالب : كيف يتسنى لى أن أكون هناك؟

العجوز : عن طريق «الفالكيرى».

الطالب : لماذا اتخذتنى وسيطًا لك؟ هل كنت تعرفنى من قبل؟

العجوز : نعم بالطبع. كنت أرقبك منذ زمن طويل. ولكن انظرْ الآن، هناك، إلى الشرفة. الخادم ترفع العلَم إلى منتصف الصارى، حدادًا على القنصل. وهى الآن تقلب ملاءات السرير. هل ترى هذا اللحاف الأزرق؟ صُنع لكى ينام تحته اثنان، لكنه يغطى الآن واحدًا فقط

(الفتاة بعد أن غيرت ملابسها، تظهر فى النافذة وتسقى الزنبق)

هذه فتاتى الصغيرة. انظر إليها، انظر، إنها تتحدث إلى الأزهار. أليست مثل تلك الزنبقة الزرقاء نفسها؟ إنها تسقيها – لا تسقيها إلا الماءَ الطهورَ الخالص. الأزهار تحوّل الماء إلى لون وعبَق. وهاهو ذا الكولونيل يُقبل الآن ومعه الصحيفةّ يُريها الخبر عن البيت الذى انهار.

وهو الآن يشير إلى صـورتك. إنها مهتمـة بالأمر. تقرأ عن شجاعتك..

أظن الجـو يتلبـد بالسـحب. لو أمطرت السـمـاء لوقعتُ فى مأزق، إلا إذا عاد چوهانسون سريعًا. (تغيم السماء وتعتم. الخطيبـة، عند مرآة النافذة، تغلق نافذتها).

خطيبتى الآن توصـد نافذتها. فى التاسعـة والسبعين من عمرها. مرآة النافذة هى المرآة الوحيـدة التى تستخدمها، فهى فـيهـا لاترى نفسـها، بل العالَـم فى الخارج - فى اتجاهين. ولـكن العالم يسـتطيع أن يراها، لمْ تفكر هى فى ذلك. إنها على أى حال عجوزٌ جميلة.

(يخرج الرجـل الميت الآن، ملفوفًا فى مـلاءةٍ تدور به، من الباب)...

الطـالـب : ياإلهى، ماذا أرى؟

العـجوز : ماذا ترى؟

الطـالب : ألا ترى أنت؟ هناك، فى الباب، الرجل الميت؟

العـجوز : لا أرى شيئًا، ولكنى كنت أتوقع ذلك. قل لى.

الطـالب : إنه يخرج إلـى الشارع. (صـمـت) هو الآن يدير رأسه وينظر إلى أعلى، إلى العَلَم.

العـجوز : ألـم أقل لك؟ تأكد أنه سوف يُحصى عدد أكاليل الزهر، ويقرأ بطاقات التعزية، والويل لمن يغيب.

الطـالب : إنه الآن يدور حول الركن.

العـجوز : ذهب ليحصى الفـقراء عند الباب الخلفى. الفقـراء أشبه شىء بالزينة، كما تـعرف. «وتبعته بركـات الكثيرين». لن يتبـعه الكثيـر من البركات على أى حـال. إنه وغد كبير، بينى وبينك...

الطـالب : ولكنه مُحسن..

العـجوز : وغدٌ مُـحسن، دائمًا يـفكر فى جنازته العظيمـة. عندما عرف بدنو أجله، خدع الدولة فى خمسين ألف كراون. وبنته الآن لهـا علاقة بزوجِ امرأةٍ أخرى، وتـتساءل عن الوصـيـة. نعم، الوغـد يسـتطيع أن يسـمع كل كلمـة نقولها، وأهلا وسهـلا به. آه، هاهو ذا چوهانسون قادم **(يدخل چوهانسـون) تكلم (يتكلم چوهانسـون، ولكن النظارة لايسمـعون)** ليس فى البيت، هه؟ أنت حمار. والبـرقية؟ لا شـىء؟ استمـر.. الساعـة السادسـة هذا المساء؟ طيب. هل تقول طبـعة خاصة؟ باسِمـه كاملاً، آركنهولتز، طالب، وُلد فى... أبَواه... هذا عظيم.. أعـتقـد أن السمـاء بدأت تمطر.. ماذا قـال عن ذلك؟ هكـذا. هكـذا. لم يقـــــبل؟ بل يـجب. هـاهو ذا الأرستقراطى يأتى. ادفـعنى حول الركن ياچوهانسون، حتى أسـتطيع أن أسمع مايقول الفـقراء **(لچوهانسون)**

أسرع، أسـرع (چوهانسـون يدفع العـربة حـول الركن. يبقى الطالب وهو يرقب الفتاة، بينما هى تعبث فى التربة لتـفكّك من تماسكـهـا حول أزهـار الزنبق فى الأصص. يدخل الأرستـقراطى فى مـلابس الحداد، ويتـحدث إلى السـيدة الـسوداء التى كـانت تسـيـر جيـئـةً وذهابًا على الرصيف).

الأرستقراطى : ولكن ماذا بوسعنا أن نفعل؟ علينا أن ننتظر. . .

السـيـدة : لا أستطيع الانتظار. .

الأرستقراطى : لا تستطيعين؟ حسن إذن، اذهبى إلى الريف.

السـيـدة : لا أريد.

الأرستقراطى : تعالى هنا وإلا سمعوا ما نقول.

(يتحـركان نحـو عمـود الاعلانات ويتـابعان حـديثهـما بصوت غير مسموع. يعود چوهانسون)

چوهانسون : (للطالبٍ) سيدى يطلب منـك ألا تنسى الموضوع الآخر ياسيدى.

الطـالـب : (مـتـرددًا) اسـمعْ. . . قل لى قـبل كل شىء. . من هو سيدك.

چوهانسون : هو أشياء كثيرة وكان. فيما مضى، كل شىء.

الطـالـب : هل هو رجل عاقل؟

چوهانسون : هذا يتوقف على ماهو الرجل العـاقل. كان يقول، طيلة

حيـاته، إنه يبحث عن شخـص وُلد يوم الأحد، ولكن ذلك قد لا يكون صحيحًا.

الطـالب : ماذا يريد؟ إنه نَهّابٌ أليس كذلك؟

چوهانسون : بل هى القوة والسلطان يبحث عنهما. طول النهار يركب عربة هنا وهناك كالإله «ثُور» نفـسه. ينظر إلى البيوت، يهدمها، يشق شوارع جديدة، يبنى ميادين. لكنه يقتحم البيوت أيـضًا، يتسلل من النوافذ، يعـبث بمصائر الناس تدميـرًا، يقتل أعـداءه، ولا يغفر أبدًا. هل تـستطيع أن تتصور ذلك ياسيدى؟ هذا المُقعد التعس كان فى يوم من الأيام «دون چوان» وإن كان قد فَقَد نساءه دائمًا..

الطـالب : وكيف تفسر ذلك؟

چوهانسون : إنه من الخُبث والمكر بحيث يحمل النساء على أن يتركنه عندمـا يسـأمـهن. ولكـنه الآن أشـبـه شىء بلصٍ من لصـوص الخيْل ولكن فى سـوق الإنسـان. إنه يسـرق الكائنات الإنسـانيـة بكل أنواع الحـيل المخـتلفـة. لقـد سرقنى، حرفـيًا، من بين أيدى القانون. والحقـيقة أننى ارتكبت خطأ - ممْ. نعم. ولم يكن يعرف ذلك سواه. وبدلاً من أن يزج بى إلى السـجن، حّـولنى إلى عـبـدٍ رقيق. وأنا أكدّ كـالعبيد، بلقمتى فـحسب، وليست مع ذلك لقمةً سائغة..

الطـالب : فماذا ينوى أن يفعل إذن فى هذا البيت؟

چوهانسون : لن أتحدث عن ذلك، إنه أمرٌ فى غاية التعقيد. . .

الطـالب : أعتقد أنه من الخير أن ابتعد عن ذلك كله.

(الفتاة تُسقط سواراً من النافذة)

چوهانسون : انظر السيِّدة الصغيرة قد أسقطت سوارها من النافذة **(الطالب يذهب ببطء إلى حيث سقط السوار فيلتقطه ويعيده إلى الفتاة التى تشكره بجفاف. يعود الطالب إلى جوهانسون)** أنت تنوى أن تبتعد. ليس ذلك من السهولة بما تتصور، مادام قد أوقعك فى شباكه. وهو لايخاف شيئًا بين السماء والأرض. نعم، بل إنه يخاف شيئًا واحدًا أو شخصًا واحدًا على الأصح.

الطـالب : لاتقل لى مَن هو. أظننى أعرفه. . .

چوهانسون : كيف يمكنك أن تعرف؟

الطـالب : أخمن. إنها بائعة لبنٍ صغيرة يخافها؟

چوهانسون : إنه يدير رأسه إلى الناحية الأخرى كلما مرت عربة لبن. ثم إنه يتحدث فى نومه. يظهر أنه كان مّرةً فى هامبورج.

الطـالب : أيمكن للمرء أن يثق فى هذا الرجل؟

چوهانسون : يمكنك أن تثق فى إنه يستطيع أن يفعل أى شىء. . .

الطـالب : ماذا يفعل وراء الركن؟

چوهانسون : يصغى إلى الفقـراء ، يَبْذر كلمة صغيـرة، يفكك حجراً
وراء حجر، بين الحِين والحين، حـتى ينهار البيت - إذا
صح القول. إننى رجل مـتعلم، كـما ترى. كنت ذات
مرة بائع كتب. . . أمازلت تنوى أن تبتعد بنفسك؟
لست أحب أن أكون ناكـراً للجميل. لقد أنقـذ أبى مرةً
الطـالب : وهو الآن لا يطلب إلا خدمة صغيرة وفاءً للدْين. .
وماهى هذه الخدمة؟
چوهانسون : علىّ أن أذهب لأشهدَ مسرحية «الفالكيرى». .
الطـالب : لا أفهـم من هذا شيـئًا. ولكنّ فى جـعبـته دائمًا حـيلٌ
چوهانسون : جـديدة. انظرْ إليـه الآن، يتـحـدث مع الشـرطة. إنه
يستـخدمهم، يزجّ بهم فى مـصالحه، ويمنيـهم بالوعود
الزائفـة والأمـانى الكـاذبة، بينمـا هو طـول الوقت
يستخلص منهم مايريد معرفته من أخبار. سوف ترى أنه
قبل أن ينـقضى النهار سـوف يكون ضيـفًا على الغـرفة
المستديرة.
ماذا يريد هناك؟ أى صلةٍ تربط بينه وبين الكولونيل؟
الطـالب : أظن أننى أستطيع التخـمين،ولكنى غيـر واثق. سوف
چوهانسون : ترى بنفسك عندما تكون هناك.
الطـالب : لن أكون هناك أبدًا. . .
چوهانسون : هذا يتوقف عليك أنت. اذهبْ لمشاهدة «الفالكيرى»

الطـالب : هل هذا هو الطريق. . . ؟

جوهانسون : نعم، مادام قد قـال ذلك. انظرّ إليه في عربتـه الحربيةّ، يجرّها له الشحـاذون كالمنتصر، ولكنهم لن ينالوا شـيئًا في مقابـل جهودهم، اللهم إلا تلميـحًا بما ينتظرهم من خيرٍ في جنازته. . .

(يظهر الرجل العجـوز، واقفًا في كرسيـه ذي العَجلات، يجره أحد الشحاذين يتبعهما الآخرون)

الرجل العجوز : حيّوا الشاب النبيل الذي غامر بحياته لكي ينقذ الكثيرين في حادث الأمس. اهتفوا ثلاثًا لاركنهولتز **(الشحاذون يخلعون قـبعاتهم ولكنهم لا يهتـفون. الفتاة في نافـذتها تلوّح بمنديلـها - الـكولونيل يُحَـدِّق من نافـذة الغـرفـة المستديرة. المرأة العـجوز تهب واقفة في نافـذتها. الخادم في الشرفة ترفع العَـلَم حتى أعلى الصارى)** صفقوا أيها المواطنون. صـحـيح أننا في يوم الأحـد، ولكن سنابل القمح في الحقول سوف تغفر لنا. ولست من مواليد يوم أحد، ولكن عنـــدي مـوهبة التنبؤ وموهبـــة الشفاء. في ذات مـرة أرجعتُ غـريقًا إلى الحيـاة. كـــان ذلك في هامبورج في صباح يوم أحد مثل هذا الصباح. . .

(تدخل بائعة اللبن، لايراها إلا الطالب والرجل العجوز. ترفع ذراعها كمن يغرق، وتحدّق بثبات إلى الرجل العجوز. الرجل العجوز يجلس وينهار وقد شلّه الفزع والرعب).

الرجل العجوز : چوهانسون. خذني بعيداً. أسرعْ. . آركنهولتز، لاتنسَ «الفالكيرى».

الطالب : ما هذا كله؟

چوهانسون : سوف نرى. سوف نرى.

المنظر الثانى

داخل الغرفة المستديرة. فى المؤخرة موقدة من الخزف وإلى كلٍ من جانبيها مرآة، وساعة ذات بندول، وشمعدان. وإلى يمين الموقدة مدخل القاعة يُرى منه جانب من غرفة مؤثثة باللون الأخضر والموجَنَه. وإلى يسار الموقدة باب دولاب ملصق عليه ورق من نوع ورق الحائط. التمثال تظلله شجيرات نخيل، وحواليه ستارة يمكن أن تُجذب فتخفيه عن الأنظار. باب إلى اليسار يُفضى إلى غرفةِ الزُنبق، حيث تجلس الفتاة تقرأ.

يمكن أن يُرى ظهر الكولونيل، إذ يجلس فى الغرفة الخضراء يكتب.

بينجتسون، خادم الكولونيل، يُقبل من القاعة، مرتدياً زى الخدم الخاص، ويتبعه جوهانسون فى زى جرسون.

بينجتسون : عليك الآن أن تقدم الشاى ياچوهانسون، بينما سوف آخذ المعاطف. هل قدمت الشاى قبل ذلك.؟

چوهانسون : صحيح أننى فى النهار أدفع «عجلة حربية»، كما تعرف، ولكنى فى المساء أقوم بعمل الساقى فى الحفلات ونحوها. كان حلمى دائمًا أن أدخل هذا البيت، القوم هنا غريبو الأطوار، أليس كذلك؟

بينجتسون : نعم مم - يختلفون عن المعتاد قليلاً، على أى حال.

چوهانسون : هل هذه حفلة موسيقية أم ماهى؟

بينجتسون : عشاء الأشباح المعتاد، كما نسميه. يشربون الشاى ولاينبسون بكلمة، أو يقوم الكولونيل وحده بمهمة الكلام كله. ويقضمون البسكوت، كلهم فى الوقت نفسه. فيكون لذلك صوت فئران فى غرفة السطح.

چوهانسون : ولماذا تسمونه عشاء الأشباح؟

بينجتسون : لأن لهم شكل الأشباح. وقد دأبوا على ذلك طيلة عشرين عامًا، نفس الأشخاص، دائمًا يقولون نفس الكلام، أولا يقولون شيئًا على الإطلاق خشية الافتضاح.

چوهانسون : أهناك للبيت سيّدة؟

بينجتسون : نعم ولكن بها لوثة. تجلس فى دولاب، لأن عينيها لاتحتملان النور (يشير إلى الباب المُوَرَّق) إنها جالسة هناك.

چوهانسون : هناك؟

بينجتسون : ألم أقل لك إنهم يختلفون قليلاً عن المعتاد؟

چوهانسون : ولكن ما شكلها؟

بينجتسون : شكل المومياء. تحب أن تلقى عليها نظرة؟ (يفتح الباب) هاهى ذى هناك.

(تُرى قامة زوجة الكولونيل، بيضاء منكمشة متقلّصة على شكل مومياء)

چوهانسون : يا إلهى

المومياء : (تهرف وتثرثر) لماذا تفتح الباب؟ ألم أقل لك أن تبقيه منغلقًا؟

بينجتسون : (فى نغمة مُطايبة مُراعية) تاتاتاتا. خَلِّك الآن بنتًا لطيفة طيبة، وستأخذين شيئًا حلوا ياپولى الحلوة.

المومياء : (تثرثر كالببغاء) ياپولى ياحلوة. هل أنت هناك ياچاكوب كررررر.

چوهانسون : غريبة لقد شاهدت الكثير فى الحياة، لكن هذا يفوق كل شىء.

بينجتسون : كما ترى.عندما يشيخ البيتُ ينمو عليه العفن، وعندما يبقى الناس معًا أمدًا طويلاً يعذبون أحدهم الآخر، فإن الجنون يصيبهم. سيدة البيت - اسكتى ياپولى - هذه المومياء هناك، ظلت تعيش هنا طيلة أربعين عامًا.

نفس الزوج نفس الأقارب نفس الأصدقاء. (يوصد الباب المورّق) وما يدور في هذا البيت، هذا أكبر مما أستطيع أن أفهم. انظر إلى هذا التمثال - هذه هي عندما كانت صبية.

چوهانسون : ياإلهى هل هذه هى المومياء؟

بينجتسون : نعم فى هذا وحده ما يحمل على البكاء. وقد انساق بها خيالها، أو ما يشبه ذلك، فأصبحت تشبه الببغاء قليلاً، بشكلٍ أو آخر - طريقتها فى الكلام، وكيف أصبحت لا تطيق المُقْعَدين أو المَرْضَى لاتطيق مرأى بنْتها نفسها لأنها مريضة.

چوهانسون : السيدة الصغيرة مريضة؟

بينجتسون : ألم تكن تعرف ذلك؟

چوهانسون : لا، والكولونيل، مَنْ هو؟

بينجتسون : سوف ترى.

چوهانسون : (ينظر إلى التمثال) هذا التمثال.. فظيعٌ أن يفكر المرء فى ... كم عمرها الآن؟

بينجتسون : ما من أحدٍ يعرف، وإن كان يقال إنها عندما كانت فى الخامسة والثلاثين كانت تبدو فى سن التاسعة عشرة. ذلك ما حملت الكولونيل على أن يصدّقه - هنا فى هذا البيت نفسه أتعرف لماذا جُعلت هذه الستارة اليابانية

السوداء هناك بجانب المخدع، يسمونها ستارة الموت. وعندما يقترب أحدهم من الموت يسدلونها كما يحدث في المستشفى.

جوهانسون : ياله من بيت فظيع. الطالب كان يتوق للدخول هنا كما لو كانت الجَنَّة هنا.

بينجتسون : أيّ طالب؟ آه، عرفت. هو الذى يأتى هنا هذه الليلة. تصادَفَ إن الكولونيل والسيدة الصغيرة التقيا به فى الأوبرا. واستلطفه الاثنان - هم م - الآن جاء دورى أن أسأل، مَنْ سيدك، الرجل فى الكرسى ذى العجلات؟

جوهانسون : آه - هُوَ - هل هو سيأتى الليلة أيضًا؟

بينجتسون : لم يُدْعَ للمجئ.

جوهانسون : سيأتى من غير دعوة، لو احتاج الأمر.

(يظهر الرجل العجوز فى القاعة، يتوكأ على عكازين ويرتدى الفراك وقبعةً عالية يتسلل إلى الأمام ويستمع)

بينجتسون : هو شيطان عجوز، أليس كذلك؟

جوهانسون : من قمة رأسه إلى أخمص قدميه.

بينجتسون : يبدو كأنه إبليس شخصيًا.

جوهانسون : ولابد أنه ساحر أيضا لأنه يمرّ من خلال الأبواب المغلقة.

(يتقدم الرجل العجوز ويمسك بجوهانسون من أذنيه)

الرجل العجوز : أيها الوغـد احترس. (إلى بينجتسون) بينجتسون قل للكولونيل إننى هنا.

بينجتسون : ولكننا بانتظار ضيوف.

الرجل العجوز : أعرف ولكن زيارتى شىء منتظر، تقريبًا، وإن لم تكن بالضبط شيئًا يلقى الترحيب.

بينجتسون : مفهوم. وما الاسم الذى أقول؟ مستر هامل؟

الرجل العجوز : بالضبط نعم (بينجتسون يعبر القاعة إلى الغرفة الخضراء ويغلق بابها خلفه - الرجل العجوز يهتف بجوهانسون) جوهانسون، اخرج. (يتردد جوهانسون) اخرج. (يختفى جوهانسون فى القاعة. الرجل العجوز يتفحص الغرفة ويتوقف أمام التمثال بدهشة كبيرة) هذا التمثال أميليا. إنها هى - هى...

المومياء : (من الدولاب) يا پولى ياحلوة... كِرررر (يُجفل العجوز)

الرجل العجوز : ما هذا؟ ببغاء فى الغرفة؟ لا أراه.

المومياء : هل أنت هناك ياچاكوب؟

الرجل العجوز : البيت مسكون.

المومياء : چاكوب.

الرجل العجوز : هذا مفزع. هذه هى الأسرار التى يحفظونها فى هذا البيت إذن؟ (ظهره إلى الدولاب يقف ناظراً إلى صورة) هذه الصورة إنه هو - هو...

المومياء : (تخرج من خلف ظهر الرجل العجوز وتشده من شَعْره المُستعار) كِررر هل هو...؟ كرِررر.

الرجل العجوز : (يثب فزعًا يكاد يخرج من جلده) ياإلهى مَنْ أنتِ؟

المومياء : (بصوتٍ عادى) هل أنت چاكوب؟

الرجل العجوز : نعم، اسمى چاكوب.

المومياء : (بانفعال) واسمى إميليا.

الرجل العجوز : لالالا... آه ياإلهى .. لا.

المومياء : نعم انظرْ شكلى الآن نعم (مشيرةً إلى التمثال) وانظر إلى هذا التمثال، كيف كان شكلى فيما مضى. الحياة تفتح عينى المرء أليسَ كذلك؟ أعيش الآن فى الدولاب معظم الوقت، لكى أتجنب رؤية الناس، وأتجنب أن يرانى الناس... ولكن چاكوب ماذا تريد هنا؟

الرجل العجوز : طفلتى. طفلتنا.

المومياء : هذه هى.

الرجل العجوز : أين؟

المومياء : هناك - فى غرفة الزنبق.

الرجل العجوز : (ينظر إلى البِنت) نعم. هذه هى. (صمت) وماذا عن أبيها، أعنى الكولونيل - أعنى زوجك؟

المومياء : فى ذات مرة، عندما كنت ساخطة عليه، قلت له كل شىء.

الرجل العجوز : وبعد؟

المومـيـاء : لم يصدقنى بل قال : هذا ما تقوله كل الزوجات عندما يردن أن يقتلن أزواجـهن. ومع ذلك فقد كـانت جريمة مخيفة. زيّفتُ حياتَه كلهـا، وشجرة عائلته أيضا. أنظرُ أحيانا إلى كتـاب نسب الأشراف ثم أقول لنفسى : هذه هى، تمضى بشهادةِ ميلاد زائفة كأنها خادم، والناس مع ذلك يُزج بهم فى الإصلاحيات لمثل هذا.

الرجل العجوز : كثيرون يفـعلون ذلك. يخيل لى أن تاريخ ميلادك أنتِ نفسك لم يكن صحيحًا.

المومـيـاء : أمى حملتنى على ذلك. لـم يكن الذنب ذنبى. أما فى جريمتنا فأنت قد لعبت الدور الأكبر.

الرجل العجوز : لا، زوجك كـان السبب فى هذه الجـريمة عندمـا سلَبنى خطيبتى. لقد وُلدتُ غيـر قادرٍ على الصفح ما لم أوقع العقاب. كان ذلك عندى واجبًا مُلزمًا - ومازال.

المومـيـاء : مـاذا تنتظر أن تجـد فى هذا البـيت؟ مـاذا تريد؟ كـيف دخلت؟ هل الأمر يتعلق بِبنتى؟ لو مسستَها فسوف تموت.

الرجل العجوز : إنما أنوى لها الخير

المومـيـاء : يجب إذن أن تعفو عن أبيها.

الرجل العجوز : لا

المومـيـاء : ستموت إذن فى هذه الغرفة خلف هذه الستارة.

الرجل العجوز : يجوز. ولـكننى إذا أنشبتُ أسنانى فى شىء فـلا يمكننى أن أفلته.

المومـيـاء : تريد أن تُزوجـهـا بهـذا الطـالب. لمـاذا؟ إنه لا شىء ، ولايملك شيئًا.

الرجل العجوز : سوف يصبح ثريًا، بفضلى.

المومـيـاء : هل دُعيتَ الليلة هنا؟

الرجل العجوز : لا،ولكنى أنوى أن أحصل لنفسى على دعـوة إلى عشاء الأشباح هذا.

المومـيـاء : أتعرف مَنْ سيأتى؟

الرجل العجوز : لا، لا أعرف بالضبط

المومـيـاء : البـارون، الرجل الذى يسكن فـوق- الذى دُفِن حَمُـوه اليوم بعد الظهر.

الرجل العجوز : الرجل الذى سوف يطلّق امرأته لكى يتزوج ببنت زوجة الحانوتى. الرجل الذى كان. . . عشيقك.

المومـيـاء : آه. . ومن الضـيوف الآخـرين خطيـبتك الـسابقـة التى أوقعها زوجى فى حباله.

الرجل العجوز : صفوةٌ منتقاة.

المومـيـاء : آه يا إلهى. . لو أننا فقط نموت. . نموت.

الرجل العجوز : فلمـاذا أبقيتهِم معًا. إذن؟

المومياء : الجريمة والأسرار والإثم تربطنا بعضنا ببعض. لقد فَصَمْنا روابطنا، وذهب كلٌّ منا فى سبيله مرات لاعداد لها، ولكننا نُشد إلى بعضنا بعضًا دائمًا من جديد.

الرجل العجوز : أظن الكولونيل قادمًا.

المومياء : سوف أذهب إذن إلى آديل (صمت) چاكوب، احذرْ مما تفعل. اغفر له.

(صمت. ثم تمضى إلى غرفة الزُنبق وتختفى)

(يدخل الكولونيل، متحفظًا فى برود، وفى يده خطاب)

الكولونيل : تفضل اجلس. (الرجل العجوز يجلس فى تؤدة. صمت. الكولونيل يحدق فيه) هل أنت الذى كتبت هذا الخطاب ياسيدى؟

الرجل العجوز : كتبته.

الكولونيل : واسمك هامل؟

الرجل العجوز : هذا اسمى. (صمت)

الكولونيل : أفهم من هذا أنك اشتريت كل الكمبيالات التى تدينني. ولا يسعنى إلا أن أفهم أننى بين يديك. ماذا تريد؟

الرجل العجوز : أريد الدفع بطريقة أو أخرى.

الكولونيل : بأية طريقة؟

الرجل العجوز : طريقة بسيطة جدًا، دَعنا من سيرة النقود. كل ما عليك أن تحتملنى ضيفًا فى بيتك.

الكولونيل : إذا كان هذا الأمر الصغير يكفيك.

الرجل العجوز : أشكرك.

الكولونيل : وماذا أيضًا؟

الرجل العجوز : اطرد بينجتسون.

الكولونيل : ولماذا أطرده؟ خادمي الوفي الذي لازمني العمر كله، وحصل على الوسام الوطني للخدمة الطويلة المُخلصة، لماذا أطرده؟

الرجل العجوز : ذلك ما تظنه فيه، كلّه سجايا ممتازة ولكنه ليس بالرجل الذي يوحي به مظهره.

الكولونيل : ومن هو الرجل الذي يصدق مظهره؟

الرجل العجوز : (مُفْحَما) صحيح. ولكن يجب أن يذهب بينجتسون.

الكولونيل : هل تنوي أن تدير بيتي كما تشاء؟

الرجل العجوز : نعم. فكل شيء هنا مِلْكي. الأثاث، الستائر، طاقم العشاء، المفارش والبياضات. وأكثر من ذلك أيضا.

الكولونيل : ماذا تعني؟ أكثر؟

الرجل العجوز : كل شيء. كل شيء هنا مِلْكي، مِلْكي أنا.

الكولونيل : فليكن، مِلكك نعم. ولكن يبقى لي شعار عائلتي، وسمعتي الطيبة.

الرجل العجوز : لا، ولا ذلك. (صمت) أنت لست من النبلاء.

الكولونيل : كيف واتتك الجرأة؟

الرجل العجوز : (يُخرج وثيقة) لو قرأتَ هذه القصاصة من «جريدة الأشراف» لوجدت أن العائلة التى تستخدم اسمها قد انقرضت منذ مائة عام.

الكولونيل : سمعت إشاعاتٍ بهذا المعنى لكنى ورثت الاسم عن أبى (يقرأ القصاصة) هذا حق. أنت محق. إننى لست من طبقة النبلاء يجب إذن أن أخلع خاتمى الذى يحمل الشعار، أنا ملْكك.

(يعطيه إياه) هاكَ الخاتم.

الرجل العجوز : (يضع الخاتم فى جيبه) والآن نستمر. أنت أيضًا لا تحمل لقب كولونيل.

الكولونيل : لا أحمل لقب...؟

الرجل العجوز : لا، كنت ذات مرة تحمل درجة كولونيل مؤقتّة فى قوة المتطوعين الأمريكية. ولكن كل هذه الألقاب أُلغيت بعد الحرب فى كوبا وإعادة تنظيم الجيش.

الكولونيل : أهذا صحيح؟

الرجل العجوز : (يشير إلى جيبه) هل تريد أن تقرأ عنه؟

الكولونيل : لا، لا ضرورة لهذا. من أنت؟ وبأى حقٍ تجلس هنا لتجردنى بهذا الشكل من كل شىء؟

الرجل العجوز : سوف ترى. أما عن مسألة التجريد... فهل تعرف مَنْ أنت؟

الكولونيل : كيف تجرؤ على أن تسأل. . ؟

الرجل العجوز : اخلع هذا الشـعر المستـعار وانظر إلى نفـسك فى المرآة، ولكن انزع أسنانك فى الوقت نفسـه واحلـق شاربك. دع بينجتسون يفك لك مشداتك المعدنية، وعندئذ لعل شخصًا معينًا، زيدًا من الناس أو عمْرًا، شخصًا وضيعًا، يعرف نفسه فى المرآة، الشخص الذى كان عشيقًا مخبأ فى الدولاب، فى مطبخٍ ما **(الكولونيل يمد يده نحو الجرس على المائدة ولكن هامل يثنيه عن ذلك ويقول)** لا تلمس هذا الجرس ولا تُنادِ بينجتسون - لو ناديته لدعوت الشرطة للقبض عليه.

(صمت) سوف يصل الضيوف الآن. احتفظ برباطة جأشك. وسوف نواصل أدوارنا القديمة بعض الوقت.

الكولونيل : من أنت؟ إننى أعرف صوتك وعينيك.

الرجل العجوز : لا تحاول أن تعرف شيئًا. الزم الصمت، والطاعة.

(يدخل الطالب وينحنى للكولونيل)

الطالب : مساء الخير ياسيدى.

الكولونيل : أهلا وسهلا فى بيتى يابنى. إن تصرّفك الرائع فى تلك الكارثة الكبيرة قد جعل اسمك على كل لسان وأنا أعتبر زيارتك لى فى بيتى شرفًا لى.

الطالب : إن أسرتى المتواضعة ياسيدى. . . واسمك العريق ومحتدك النبيل. . .

الكولونيل : هل تسمح لى بتقـديم مستر أركنهولتز. مـستر هـامل.
لو سـمحت يامـستـر أركنهولتـز هل تتفـضل هناك مع السيدات، يجب أن أنهى حديثًا خاصًا مع مستر هامِل.
(يدخل الطالب إلى غرفة الزنـبق حيث يُرى الطالب بعد ذلك يتحـدث، على استحياء، إلـى الفتاة) فتى عظيم ، يهوى الموسيقى ويغنى، يكتب الشـعر. لو أن فى عروقه دماء الأصل النبـيل الزرقـاء، لو أنه كان من طبـقتنـا، ما كنت أظن أننى أعترض على. . .

الرجل العجوز : على. . . ؟

الكولونيل : على بنتى.

الرجل العجوز : بنتك أنت. . ولكن، بالمناسـبة، لماذا تمضى كل وقتـها هناك فى الداخل؟

الكولونيل : تصر على البـقاء فى غرفة الزنبق، إلا إذا كـانت خارج البيت. هذا من طبـاعها الغريبـة. آه ها هى ذى الآنسة بياتريس فون هولشتاينكرونا.
امرأة سـاحرة، من أعـمدة الكنيسـة، ومعـها من المـال مايكفى بالضبط ليتناسب مع أصلها ومركزها.

الرجل العجوز : (لنفسه) خطيبتى.
(تدخل الخطيبة يبدو كَمَنْ بها لوثة طفيفة)

الكولونيل : الآنسة هولشتاينكرونا - مستر هامل (الخطيبة تحيّى بحركة نصف انحناءة وتجلس. يدخل الأرستقراطى ويجلس، مرتديًا ملابس الحداد وعليه مظهر السرّ والخفاء) البارون سكانسكودج.

الرجل العجوز : (لنفسه، دون أن ينهض) هذا لص الجواهر فيما أظن. (للكولونيل) لو أتيتَ بالمومياء، لكملت الحفلة.

الكولونيل : (على باب غرفة الزنبق) پولى...

المومياء : ، (وهى تدخل) كرررر...

الكولونيل : هل يدخل الأولاد أيضًا؟

الرجل العجوز : لا ، سوف ندع الأولاد. سوف نوفر عليهم العناء. (يجلسون جميعًا صامتين فى حلقة)

الكولونيل : هل نأمر بتقديم الشاى؟

الرجل العجوز : وما الفائدة؟ لا أحد يريد شرب الشاى. لماذا نتظاهر؟

الكولونيل : فهل نتكلم؟

الرجل العجوز : نتكلم عن الجو؟ نحن نعرفه. نسأل عن صحة بعضنا بعضا؟ نحن نعرفها أيضا. أُفضِّل الصمت - ففى الصمت يستطيع المرء أن يسمع الأفكار وأن يرى الماضى. الصمت لا يمكن أن يُخفى شيئًا. لكن الكلمات تستطيع المداراة. قرأت منذ أيام أن اختلاف اللغات نشأ عند البدائيين بغرض إخفاء أسرار قبيلةٍ عن

القبائل الأخرى. ومن ثم كانت كل لغة هى شفرة، ومن يجد المفتاح يستطيع أن يفهم كل لغة فى العالم. ولكن ذلك لن يحول دون فضح الأسرار دون مفتاح ؟ وبخاصة عندما تكون المسألة هى البرهنة على نسب الأبوة. البرهان فى المحكمة مسألة أخرى. يكفى شاهدا زور للبرهنة على أى شىء يتفقان عليه، لكن المرء لا يأخذ معه شهودًا فى رحلات الكَشْف التى أفكّر فيها. إن الطبيعة نفسها قد غرزت فى الكائنات الإنسانية إحساسًا بالتواضع يحاول أن يُخْفِى ما ينبغى أن يظل خفيًا. ولكننا من غير عمد نتزلق إلى مواقف بعينها. وفى بعض الأحيان نُفشى أعمق الأسرار على سبيل الصُدفة ونُنتزع القناع من على وجه المحتال الخدّاع ويُماط اللثام عن الوغد... (صمت - ينظر الجميع بعضهم إلى بعض فى صمت) أى صمت يسود الآن... (صمت طويل) هنا مثلاً فى هذا البيت الكريم، فى هذا البيت الأنيق، حيث يأتلف الجمالُ والثروة والثقافة العالية... (صمت طويل) كلنا نحن الجالسين هنا الآن نعرف مَنْ نحن- أليس كذلك؟ لا حاجة بى أن أقولها لكم. وأنتم تعرفوننى، وإن كنتم تدّعون الجهل (يشير إلى غرفة الزُنبق) هناك فى غرفة الزنبق ابنتى - ابنتى أنا.

وأنتم تعرفون ذلك أيضًا. إنها فقدت الرغبة فى الحياة. دون أن تعرف السبب. والحقيقة إنها كانت تذوى وتذبل فى هذا الجو المثقل بالجريمة والخداع والزيف من كل صنف، لذلك رحتُ أبحث عن صديقٍ لها، قد تستطيع فى صحبته أن تستمتع بالنورِ ودفء الأعمال النبيلة. (صمت طويل) تلك كانت مهمتى، أن أجتث الحشائش، أن أميط الستر عن الجرائم، أن أسوِّى كل الحسابات، حتى يتسنى لهؤلاء الأولاد أن يبدأوا من جديد فى هذا البيت، فهذه هى هديتى إليهم (صمت طويل) سوف أمنح الأمان بالخروج لكل واحدٍ منكم، والآن، كلٌ بدوره وفى وقته. أما مَنْ يبقى فسوف يُقبض عليه. (صمت طويل) هل تسمعون الساعة تدق كخنفساء الموت فى الجدار؟ هل تسمعون ماذا تقول الساعة؟ «آنَ الوقت، آن الوقت، آن الوقت..» وعندما تدق بعد لحظات قلائل، يكون الوقت المتاح لكم قد انقضى، وعندئذ يمكنكم الذهاب. أما قبل ذلك فليس لكم أن تذهبوا. إنها ترفع ذراعها عليكم قبل أن تدق، اسمعوا... إنها تحذركم: «الساعة يمكن أن تضرب» وأنا يمكننى أن أضرب أيضًا (يضرب المائدة بأحد عكازيه) أتسمعون؟

(صمت. المومياء تذهب إلى الساعة وتوقفها، ثم تتكلم بصوت عاديّ جادّ)

المومـــيـاء : ولكننى أستطيع أن أوقف الزمن فى مجراه، أستطيع أن أمحو الماضِى وأن أنقض ما أُبرِم أمره. ولكن من غير رشوة، من غير تهديد. وإنما بالآلام والتوبة وحدها. (تذهب إلى الرجل العجوز). نحن كائنات إنسانية شقيّة، هذا نعرفه. لقد زللنا وأخطأنا نحن شأن كل الناس. لسنا فى حقيقتنا كما يظهر علينا. لأننا فى أعماقنا أفضل من أنفسنا فنحن نمقت خطايانا. ولكنك أنت- چاكوب هامِل باسمك الزائف - عندما تختار لنفسك أن تجلس للحكم علينا، فأنت تبرهن على أنك أسوأ منّا، نحن الخُطاة الأشقياء. لأنك لست فى حقيقتك كما يبدو عليك. أنت لص الأرواح الإنسانية. سرقتنى مرةً بوعودك الزائفة. قتلْتَ القنصل الذى دفن اليوم: خنقته بالديون. وسرقت الطالب إذ ربطته بدينٍ مزعوم على أبيه الذى لم يكن مدينًا لك بشىءٍ على الإطلاق. (الرجل العجوز بعد أن يحاول النهوض والكلام، يغوص فى مقعده وينهار باطراد إذ تمضى فى حديثها) ولكن ثمّة نقطة سوداء فى حياتك لست واثقة منها تمام الثقة، وإن كانت تساورنى الرِيَب بشأنها. وأظن بينجتسون يعرفها.

(تدق الجرس على المائدة).

الرجل العجوز : لا، بينجتسون لا، ليس بينجتسون.

المومياء : فهو يعرف إذن. (تدق الجرس ثانية، تظهر بائعة اللبن فى باب القاعة، لا يراها إلا الرجل العجوز الذى ينكمش فى مقعده متراجعًا مروعًا).

الرجل العجوز : (فى همس مروّع) آه بائعة اللبن... بينجتسون... لقد اختفت...

(تختفى بائعة اللبن إذ يظهر بينجتسون)

المومياء : بينجتسون، هل تعرف هذا الرجل؟

بينجتسون : نعم، أعرفه ويعرفنى. للحياة كما تعرفون حلوها ومرّها. كنت فى خدمته، وفى وقتٍ آخر كان فى خدمتى. ظل ستتين طويلتين طفيليًا فى مطبخى. ولما كان مضطراً لأن يخرج فى الثالثة فقد كان الغداء يُعَدّ فى الثانية، وكان على الأسرة أن تأكل فَضْلة أكْل هذا الحيوان بعد تسخينها. كان يشرب الحساء كله، وكان الطباخ بعد ذلك يملؤ الآنية بالماء. كان يجلس هناك، كالوطواط، يمصّ نخاع البيت حتى استحلنا إلى مايشبه الهياكل العظمّية الجافة. وأوشكَ أن يزج بنا فى السجن عندما اتهمنا الطباخ بأنه لص. وبعد ذلك التقيت بهذا الرجل فى هامبورج تحت اسم آخر . كان عندئذ مرابيًّا،

مصاص دماء. وعندئذ اتهم بإغواء بنتٍ صغيرةٍ والخروج بها على الجليد حتى يغرقها، لأنها رأته يقترف جريمة كان يخشى افتضاحها.

(المومياء تمر بيدها على وجه الرجل العجوز)

المومياء : هذا أنتَ ياهاملِ سلّمنى الآن الكمبيالات والوصّية. **(يظهر چوهانسون فى باب القاعة، ويرقب المشهد باهتمام بالغ مدركًا أنه الآن سوف يُحرر من العبودية. يُخرِج الرجل العجوز حزمة من الأوراق يرميها على المائدة. المومياء تذهب إليه وتربت ظهرَه)** يابيغاء، هل أنت هنا يا چاكوب؟

الرجل العجوز : (كالبيغاء) چاكوب هُنا. يا پولى ياحلوة. كِررررر. . .

المومياء : هل يمكن للساعة أن تدق؟

الرجل العجوز : **(بصوت كنقيق الدجاج)** يمكن للساعة أن تدق **(يقلد ساعةً من الساعات التى يبرز منها عصفورٌ ليعلن الوقت)** كاكوو. . . كاكوو. . . كاكوو. .

(تفتح المومياء باب الدولاب)

المومياء : الآن دقت الساعة. قُمْ وادخل الدولاب حيث قضيتُ عشرين عامًا ندمًا على جريمتنا. وفى الدولاب حبل معلق، تستطيع أن تعتبره الحبل الذى خنقت به القنصل، والذى كنت تنوى أن تخنق به ولىّ نعِمك. . . اذهبْ.

(يدخل الرجل العجوز فى الدولاب وتغلق المومياء الباب عليه) بينجتسون أسدلْ الستارة ، ستارة الموت (بينجتسون يضع الستارة أمام الباب) انتهى الأمر. يرحمه

الكل : الله. آمين (صمتٌ طويل)

(تظهر الفتاة والطالب فى غرفة الزنبق. ومعها «هَارْب» تعزف عليه مقدمةً موسيقية، ثم تصاحب بالعزف قصيدةً للطالب).

الطالب : رأيت الشمس فلاح لى، أنى رأيتُ الخفىّ المستور.

لابدّ للرجال من حصاد بِذارهم، وطوبى لمن يأتى الأعمال الصالحات.

أمّا ما اقترفت اليدان فى فورة الغضب فلا تقويم له فى الآثام.

ومن أصابه الضرّ على يديك فطيّبْ خاطره بالحنو والعطف والمحبة.

فى عملك برءٌ وشِفاء.

والذى لا يقترف شرًا لا تساوره المخاوف.

البراءة حلوة عذبة المذاق.

المنظر الثالث

فى داخل غرفة الزنبق – الأثر العام الذى توُحى به الغرفة غريبٌ شـرقى. زهـور الزنبق فى كل مكان، من كل لون بعـضـهـا فى أصصٍ، والبعض الآخر براعمها فى أوانٍ زجاجية وجُذورها فى المـاء .

على الموقد المتخذ من القرميد تمثال كبير لبوذا جالسًا متربعًا، فى حجره يستقر برعمٌ، ويرتفع منه جذعُ نبات «أبو شوشة» يحمل عنقوده الكروى مع أزهاره البيضاء التى تشبه النجوم.

إلى اليمين باب مفتوح يفضى إلى الغرفة المستديرة حيث يجلس الكولونيل والمومياء خاملينْ صامتيْن. ويرى أيضًا جانبٌ من ستارة الموت. وإلى اليسار بابٌ يؤدى إلى غرفة المؤونة والمطبخ.

الطالب والفتـاة (أديل) إلى جـانب المـائدة، الطالب واقف، والفتـاة جالسة ومعها الهَارْب.

الفـــتـــاة : غَنِّ الآن لأزهارى.

الـطـالـب : أهذه زهرة رُوحك؟

الفـــتـــاة : الزهرة الواحـدة الوحـيـدة. هل أنت أيضًـا تحب أزهار الزنبق؟

الـطـالـب : أحبهـا أُكثر من سائر الأزهار جـميعًا - قالبـها الُعذرى ينهض قائمًا ناحلاً من البرعم مـستقرًا على الماء وضاربًا بجذوره النقية البيضاء إلى أسفل فى السائل الذى لا لون له. أحب ألوانها الأبيض الثلجّى نقيًا طاهرًا كالبراءة ، والأصفر العسلىّ الحلو، والوردىّ الفتىّ اليافع، والأحمر الناضج، ولكنـنى أُوثر فـوق كل شىء الأزرق. الأزرق كالندى، عمـيق العينين ومترعٌ بالإيمان. أحـبها جمـيعًا أكثر من الذهـب واللآلىء. أحببتهـا منذ أن كنت طفلاً وعبدتُهـا لأن لها كل الخصـال الرائعة التى أفْـتِقُدها.. ومع ذلك...

الفـــتـــاة : استمر.

الـطـالـب : حبى لا يـجد استـجابةً إذ تمقـتنى هذه الأزاهير الـرائعة الجمال.

الفـــتـــاة : ماذا تعنى؟

الـطـالـب : عبقها الفواح الـنقىّ، كأنه رياح الربيع الباكرة التى مرت فـوق الثلوج الذائبـة، يلقِى بالاضطراب إلى حـواسى،

يصمنى يعمينى، يدفعنى خارج الغرفة يقذفنى بأسهمه المسمومة التى تجرح قلبى وتشعل النار فى رأسى. أتعرفين أسطورة هذه الزهرة.؟

الفتاة : احكِها لى.

الطالب : أولاً، معناها. إن البرعم هو الأرض مستقرًا على الماء أو مدفونًا فى التربة. ثم تنهض الساق قائمةً كأنها محور العالم، وفى القمة نجوم الأزهار بأطرافها السداسية.

الفتاة : فوق الأرض - النجوم. آه، هذا رائع. . . أين تعلمت هذا؟ كيف اكتشفته؟

الطالب : دعينى أُفكّر. . . فى عينيكِ. إذن هى صورة للكون، كما ترين. لذلك يجلس بوذا ممسكًا ببرعم الأرض عيناه متأملتان إذ يرقبها تنمو، إلى الخارج وإلى أعلى، وتُحيل نفسَها إلى سماء. هذه الأرض البائسة سوف تصبح سماءً. هذا ما ينتظره بوذا.

الفتاة : الآن أُدرك هذا. أليستْ نُدُف الثلج السداسية الأطراف تشبه زهرة الزنبق أيضًا؟

الطالب : أنت محقة. لابد أن نُدُف الثلج نجومٌ ساقطة.

الفتاة : وقَطْر الثلج نجمة ثلجية منبثقة من الثلج.

الطالب : ولكن أكبر وأجمل النجوم جميعًا فى قبة السماء، نجم الشِعرى الحمراء الذهبية هى زهرة النرجس، كأسها الذهبية والحمراء، وأشعتّها البيضاء الستة.

الفتاة : هل رأيتَ نبات «أبو شوشة» هذا، فى حجر تمثال بوذا هناك عندما تتفتح زهراته؟

الطالب : نعم نعم. إنه يحمل أزاهيره فى داخل كرة، مثل كرة السماء، انتثرتْ فيها النجوم البيضاء.

الفتاة : آه... ما أمجد ذلك! مَنْ صاحب هذه الفكرة؟

الطالب : أنتِ.

الفتاة : أنتَ.

الطالب : نحن كلانا. أنجبناها معًا. لقد تزوجنا.

الفتاة : لم نتزوج بعد.

الطالب : ماذا يبقى أن نفعل؟

الفتاة : الانتظار، المحنة، الصبر.

الطالب : فليكن إذن جرّبينى، امتحنينى (صمت) أخبرينى، لماذا يجلس والداك هناك صامتين على هذا النحو لا ينبسان بكلمة واحدة؟

الفتاة : لأنه ليس لديهما ما يقولان لأحدهما الآخر، ولأن كلاً منهما لا يصدّق ما يقوله الآخر. أبى يقول : ما جدوى الكلام، مادام لايمكن لأحدنا أن يخدع الآخَر؟

الطالب : ياله من شيء فظيع أن يسمع المرء مثل هذا.

الفتاة : هاهي ذي الطبّاخة قادمة. انظر إليها، ما أضخمها وما أسمنها (يرقبان الطبّاخة، وإن كان النظّارة لا يستطيعون رؤيتها).

الطالب : ماذا تريد؟

الفتاة : تسألني عن العشاء. عليَّ أن أُدبرّ شئون البيت فأُمّي مريضة.

الطالب : ما شأننا بالمطبخ.؟

الفتاة : يجب أن نأكل. أنظر إلى الطباخة. لا أطيق أن أراها.

الطالب : مَنْ هذه الغول؟

الفتاة : تنتمي إلى أسرة هامِل من الخفافيش مصّاصي الدماء. إنها تأكلنا.

الطالب : لماذا لا تطردونها؟

الفتاة : لا تريد أن تذهب. ليس لنا عليها سيطرة. إنها عندنا تكفيراً عن خطايانا. ألا ترى أننا نذبُل ونذوى نُحُولا؟

الطالب : ألا تنالون كفايتكم من الطعام؟

الفتاة : نعم، لدينا أصناف كثيرة من الطعام، ولكن القوة كلّها قد راحت منه. هِي تغلى اللحم حتى تستنفد منه كلّ غذاء، وتعطينا الألياف والماء، بينما هى تشرب النخاع. وإذا كان لدينا شِواء فإنها تغلى النخاع أولاً، وتأكل المَرَق وتشرب العصائر. كل ما تلمسه يفقد طعمه

ومذاقـه. وكأنها تمصه بـعينيها. نحـن ننـال ثمالة البن بينما هى تشرب القهوة، تحتسى النبيذ وتملأ القوارير بالمـاء.

الـطـالـب : اطردوها.

الفـتـاة : لا نستطيع.

الـطـالـب : ولمـاذا؟

الفـتـاة : لا تريد أن تذهب. ما من أحدٍ له عليها أى سيطرة. لقد أخذتْ مِناكلّ قوانا.

الـطـالـب : هل تسمحين لى بأن أطردها؟

الفـتـاة : لا، يجب أن تبـقى الأمـور علـى مـاهى، هاهى تأتى سـوف تسألنى مـاذا تُقدم للعـشاء. وسـوف أخبـرها. وسوف تعترض وتفعل ما تريد.

الـطـالـب : دعيها إذن تطلب ما تريد بنفسها.

الفـتـاة : لا تقبل ذلك.

الـطـالـب : أى بيت غريب، إنه مسحور.

الفـتـاة : نعم. ولكنها الآن ترجع على عقبيها، لأنها قد رأتك.

الطبـاخـة : (فى البـاب) لا، ليس هذا هو الـسـبب (تبـسم عن نواجذها)

الـطـالـب : اخرجى.

الطبـاخـة : سـأخـرج عندمـا أريد. (صـمـت) ولست أريد الآن. (تختفى)

الفــتــاة : لا يشطّ بك الغـضب. عليك بالصـبر. إنهـا من المِحَن التى علينا أن نتـحملها فى البـيت. ذلك أن عندنا خادم أيضا، وعلينا أن ننظف ما تخلّفه وراءها.

الـطـالـب : لقـد طفح بى الكيل، نفـد صـبـرى. (وقـد طار لبـه) موسيقى.

الفــتــاة : انتظر.

الـطـالـب : موسيقى.

الفــتــاة : صبرًا. هذه الغرفة تسمًى غرفة المِحَن. إنها تبدو جميلة، لكنها مليئة بالعيوب.

الـطـالـب : حقًا؟ لا بأس، هذه الأمور يجب أن تعالج. إنها جميلة جـدًا، لكنها باردة قـليلاً. لماذا لا توقـدين فـيهـا نارًا تُدفئها؟

الفــتــاة : لأن النار تدخن.

الـطـالـب : ألا تستطيعون أن تنظفوا المدخنة؟

الفــتــاة : لا جدوى. هل ترى هذا المكتب هناك؟

الـطـالـب : قطعة رائعة غير عادية.

الفــتــاة : ولكنه يهتز ويتأرجح على قوائمه كل يوم أضع قطعةٌ من الفلين تحت هذه الرِجْـل هناك، ولكن الخـادم ترفعـهـا عندمـا تكنس، ويكـون علىّ أن أقطع قطعـةً جـديدةً. حافظة الأقـلام كل يوم يغطيها الحـبر وكذلك المحـبرة،

وعليّ أن أنظفها كل صباح بعد هذه المرأة، كلّ يوم.
(صمت) ما أسوأ عمل يمكنك أن تتصوره؟

الطالب : عَدُّ الغسيل. . أُفّ.

الفتاة : عليّ أن أفعل ذلك . أفّ.

الطالب : وماذا أيضًا؟

الفتاة : أن أوقَظ من النوم فى منتصف الليل، وأن اضطر إلى النهوض وإغلاق النافذة التى كانت الخادم قد تركتْها تخبط وتصطفق.

الطالب : وماذا أيضًا؟

الفتاة : أن أتسلق السلم المتحرك وأربط حَبْل خِرقة تبريد المدفأة، بعد أن تكون الخادم قد قطعته.

الطالب : وماذا أيضًا؟

الفتاة : أن أكنس بعدها، أنفض التراب بعدها، وأوقد النار فى المدفأة بعد أن يكون كل ما فعلته هو أن ترمى إليها ببعض الخشب. أن ألاحظ خرقة تبريد المدفأة، أن أمسح الزجاج، أن أعد المائدة من جديد، أن أفتح الزجاجات، أن أتأكد من تهوية الغرف، أن أسوِّى سريرى من جديد، أن أغسل زجاجة الماء بعد أن تخضرّ من الرواسب فيها، أن أشترى الكبريت والصابون الذى نبحث عنه دائمًا فلا نجده، أن أمسح المداخن وأن أشذّب

فتائل المصابيح حـتى لا تدخن- وعليّ أن أملأ المصابيح بالزيت، بنفـسى، حـتى لا تنطفىء عندمـا يكون لدينا ضيوف...

الـطـالـب : موسيقى!

الفـــتـــاة : انتظر. الكدح والعـمل يأتى أولاً، فى المقدمـة. العمل على إبقاء قذارة الحياة على مبعدة.

الـطـالـب : ولكنكم أثرياء، ولديكم خادمان.

الفـــتـــاة : لا جدوى فى ذلك ولو كان لدينا ثلاثة خدم. أن نحيا، ذلك عـملٌ شاق وفـى بعض الأحيـان يدركنى التـعب (صـمت) تصـور إذنْ مـا إذا كـان هناك أيضًـا غـرفـة للأطفال.

الـطـالـب : أعظم المباهج.

الفـــتـــاة : وأغلاها. هل تساوى الحياة كل هذه المشقة؟

الـطـالـب : ذلك يتوقف على الثـواب الذي ينتظره المرء مكافأةً على ما يـتكبد من مـشاق. مـا كنت لأتردد فى القيـام بأى شىء، فى سبيل أن أفوز بيدك.

الفـــتـــاة : لا تقل ذلك. لن تستطيع أبدًا أن تنالنى.

الـطـالـب : ولمـاذا؟

الفـــتـــاة : لا يجب أن تسأل. (صـمت)

الـطـالـب : لقد أسقطتِ سوارك من النافذة...

الفـــتـــاة : لأن ذراعى قد نَحلت جداً ونالها الهزال (صمت)

(تظهر الطباخة وفي يدها زجاجة يابانية)

الفـــتـــاة : ها هي ذى. تلك التى تلتهمنى، وتلتهمنا جميعًا.

الـطـالـب : وما هذا الذى بيدها؟

الفـــتـــاة : زجاجة مادة التلوين، وعليها حروف كالعقارب. صلصة «الصويا» التى تجعل الماء حساءً وتحل محل المَرَق. تصنع منها حساء الكرنب، وما يشبه حساء السمك أيضًا.

الـطـالـب : (للطباخة) اخرجى.

الطبــاخـة : أنتم تمتصون الـعُصارة منّا، ونحن نمتصها منكم. نأخذ الدم ونترك لكم الماء، ولكنه ماء ملوّن. إننى ذاهبة، ولكنى سأبقى مع ذلك، سأبقى طالما أحببتُ البقاء.

(تخرج)

الـطـالـب : لماذا حصل بينجتسون على وسام؟

الفـــتـــاة : لمزاياه العظيمة.

الـطـالـب : وليس لديه عيوب؟

الفـــتـــاة : نعم، عيوب كبيرة. ولكن المرء لا يحصل على وسام لعيوبه. (يبتسمان)

الـطـالـب : فى هذا البيت أسرار كثيرة.

الفـــتـــاة : شأن كل البيوت. اسمح لنا بأن نحتفظ بأسرارنا.

الـطـالـب : ألا تحبين الصراحة؟

الفـــتـــاة : نعم، فى حدود المعقول.

الـطـالـب : فى بعض الأحيان تستأثر بى رغبةٌ جامحة أن أقول كلّ ما أفكر فيه. ولكنى أعرف أن العالم ينهار ويتحطم إذا كان المرء صريحًا كل الصراحة (صمت) منذ أيام، كنت فى جنازة. . . فى الكنيسة. كانت جنازة مهيبة للغاية ورائعة الجمال.

الفـــتـــاة : جنازة مستر هامِل؟

الـطـالـب : ولىُّ نعمتــى الزائف- نعم. كان يقف على رأس النعش صديق قـديم للمتـوفى. كان يحـمل صولجـان الجناز، الكلمـات التى تمس القلب والسلوك الرصين الذى كـان يتخذه القسيس كل ذلك ترك عندى أثرًا عـميقًا. فبكيت وبعـد ذلك ذهـبنا إلى الجنازة وهناك عـلمت أن الرجل الذى كان يحـمل الصولجان إنما كان عـشيق ابنة الرجل المتوفى. . . (الفـتاة تحـدق فـيه، تحـاول أن تفـهم) وأن الرجل المتـوفى كـان قد اقـترض مـالاً ممن أحب ابنتــه (صـمت) وفى اليـوم التالى قُـبض على القسـيس لأنه اختلس أموال الكنيسة. قصة لطيفة.

الفـــتـــاة : آه. . . (صمت)

الـطـالـب : أتعرفين كيف أفكر فيكِ الآن؟

الفـــتـــاة : لا تخبرنى وإلا فسوف أموت.

الفـتـاة : فى مستشفيات المجانين فقط يقول الناس كل ما يفكرون فيه.

الطـالـب : بالضبط لقد انتهى والدى إلى مستشفى للمجانين.

الفـتـاة : كان مريضًا؟

الطـالـب : لا، بل كان بخير ولكنه كان مجنونا. أتعرفين ماذا حدث؟ لقد انفجر ذات مرة - فى هذه الظروف. كان مُحُوطًا بدائرة من المعارف، مثلنا جميعًا، وكان يسميهم أصدقاء، باختصار. وكانوا بالطبع مجموعةً من الأوغاد، مثل معظم الناس، رلكنه كان مضطرًا للحياة فى مجتمع، ما كان يستطيع أن يمضى فى الحياة وحده تمامًا. وأنت تعرفين بالطبع أن ما من أحد، فى الحياة التى نحياها كل يوم، يصارح الناس برأيه فيهم. وهو كذلك، لم يكن يصارح الناس برأيه فيهم. كان يعرف بالطبع حق المعرفة، أنهم جميعًا زائفون مخادعون، فقد سبر أغوار ختلهم وخداعهم حتى الأعماق. ولكنه كان رجلاً عاقلاً مهذبًا، وكان دائمًا كيّسا لبقًا معهم. وفى ذات مرة أقام حفلة كبيرة. وكان ذلك مساءً، وكان عمل النهار قد أرهقه، وأتعبه أيضًا جهد أن يحبس لسانه وأن يثرثر بالتفاهات والهذر مع ضيوفه.. (الفتاة مروَّعة) وعلى مائدة الطعام، دق المائدة بأصابعه طلبًا للسكوت،

ورفع كـأسه، وأخـذ يتكلم. وعندئذ حـدث ما جـعل الزناد ينطلق. فألقى خطبةً ضـخمة عصماء، جـرد فيها كل ضيـوفه حتى عرّاهـم واحدًا بعد واحد، وأخـبرهم بكل ما فيهم من خـتل وخداع. بعد ذلك كان الإرهاق قد نـال منه فجلس إلى المائدة، وقـال لهم جـميعًا أن يذهبوا إلى الجحيم، فى ستين داهية...

الفـتـاة : أوه...

الطـالـب : كنت هناك ولن أنسى قطعًا ما حدث عندئذ. تضارب أبى وأمى وتدافع الضـيوف إلى الباب... وحُـمل أبى إلى دارٍ للمجانـين حيث مات. (صمت) الماء الذي يركد طويلاً يأسن، وهو مـا حدث فى هذا البيـت أيضا. ثَمَّ شىءٌ آسنٌ هنا. ومع ذلك فقد كنت أظنه الجنـة نفسها، عندما رأيتك تدخلين هنا أول مرة. هناك كنت أقف فى صباح ذلك الأحد، أُحدّق إلى البيت. رأيت الكولونيل، ولم يكن هناك كولونيل. وكان ولىّ نعمتى لصًّا واضطر أن يشنق نفسـه. رأيت مومـياء لم تكن مومـياء ورأيت آنسة عذراء عجـوزًا - وماذا عن العذرية على أى حال؟ أين يوجد الجمال؟ فى الطبـيعة وفى ذهنى عندما يرتدى الذهن لبـوس يوم الأحـد. أين الشـرف والإيمان؟ فى الحكايات الخـرافية وأوهام الأطفـال. أين هو الشىء أى

شيء ذاك الذى يفى بما يعَد؟ فى خيـالى. الآن سممتنى أزهارك فرددتّ السمّ إلـيك من جديد. خطبتـك لنفسى وسألتك أن تكـونى زوجتى فى بيتٍ كله الشـعر والغناء والموسيـقى. ثم جاءت الطبّاخة... «ارتفـعوا بقلوبكم إلى الأعالى».. حاولى مرة أخرى أن تقدحى أوار النار والمجد فى القيثـار الذهبى. حاولى أتوسل إليكِ، أضرع إليكِ، جـاثيًا على ركـبتىّ (صمت) سوف أفعل ذلك بنفـسى إذن (يلتـقط الهَـاربْ، ولكن الأوتار تخـرس) القيثار أخرس أصم. من يتصورّ أن أجمل الأزهار سامة إلى هذا الحـد، أنها أكـثر الأزهار ضراوةَ سُـمّ زعافٍ. اللعنة قد حاقت بالخليقــــة كلها. بالحيـــاة ذاتها. لماذا لا تكونين عروسى؟ لأن ينبوع الحياة نفسه فى دخيلتك قد أصـابه المرض... الآن أسـتطيع أن أحس هذا الوطواط فى المطبخ يمص دمى، أظنها من فصيلة وطواط اللاميا، تلك التى تمص دمـاء الأطفال. إنما فى المطبخ، دائـمًا، تذوى بذور الحـيـاة عند الأطـفـال وتموت، إذا لم يكن ذلك قـد حدث بالفـعل فى غرفـة النوم. هناك سمـوم تقـضى على البصـر وسمـوم تفتح العين. ويبـدو أننى ولدت وفى دمى النوع الأخير من السم، فلست أستطيع أن أرى القبيح الشـائه جميلاً ولا أن أدعو الشـر خيراً.

لست أستطيع. لقد هبط يسوع المسيح إلى الجحيم. تلك كانت حجته إلى الأرض، إلى دار المجانين هذه التى نعيش فيها، هذا السجن هذه المقبرة، هذه الجبانة - هذه الأرض، وقتله المجانين عندما أراد أن يحررهم، ولكنهم تركوا اللص يمضى إلى سبيله. اللص دائمًا يحظى بالعطف. الويل.. الويل لنا جميعًا. يامخلص العالم خلصنا.. إننا نهلك..

(الآن قد ذبلت الفتاة وتساقطت والواضح أنها تموت. تدقّ الجرس).

(يدخل بينجتسون)

الفتاة : بينجتسون.. أحضر الستارة أسرعْ إننى أموت...

(يعود بينجتسون ومعه الستارة فيفتحها ويُسوّيها أمام الفتاة)

الطالب : المحرِّر جاء، المخلِّص جاء. مرحبًا أيها القادم الشاحب الوديع. نامِى أيتها المخلوقة الرائعة الجمال البريئة المقضىّ عليها، بعد أن عانيتِ وتألمتِ من غير جريرة ولا ذنب لك نامى، دون أن تحلمى وعندما تتيقظين من جديد.. عسى الشمس تُحَيِّك، الشمس التى لا تحرق، فى بيتٍ لاتراب فيه ويُحيّيك أصدقاءٌ لا تلطخهم لوثةُ كدر، يحيّيك حُبٌّ لا شائبة فيه. وأنتَ يابوذا الحكيم الوديع، جالسًا هناك تنتظر سماء تنبثق من الأرض امنحنا الصبر

على ما ابتلينـا به من مِـحن، امنحنا نقاء الإرادة، حتى لا يُحبَط فينا هذا الأمل.
(تعزف أوتار الهاربْ بخـفوت، وحدها، ويغمـر الغرفة نورٌ أبيض)
رأيتُ الشمس. لاَح لى أفق، رأيت الخفىّ المستور.
لابد للرجـال من حـصـاد بذارهـم ، وطوبى لمن يأتى الأعـمال الصـالحـات أما مـا اقتـرفـته اليـدان فى ثورة الغضب، فلا تقويم له فى الآثام.
ومن أصـابه الضـرّ على يديك فطيّبْ خـاطرَه بالحنوّ والعطف والمحبة.
فى ذلك بُرءٌ. وشفاء.
والذى لا يقترف شرًا لا تساوره المخاوف
البراءة حلوة عذبة المذاق.
(يُسمع من وراء الستارة أنين خفيض)
أنتِ أيتـهـا الطفلة الصـغـيـرة البـائسـة ، طفلة هذا العالَم، عالم الوهم والإثم والآلام والموت، عالم التغير الذى لانهاية له، وحبوط الآمـال، والعذاب، فليرحمك ربّ السماء فى رحلتك.
(تخـتفِي الغـرفـة. وتبدو لوحـة بوكلين «جـزيرة الموتى» على البُعد، ومن الجـزيرة تأتى أنغام مـوسيـقى ناعمـة، وحلوة، وفيها شجن).